المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

قراءة المنجز النقدي للإمام السكاكي في النقد الحديث دراسة " في نقد النقد"

Reading the critical achievement of Imam Al-Sakaki in modern criticism Study "In Criticism of Criticism"

بقلم الدكتور

خالد مصطفى أحمد عبدالله

مدرس الأدب والنقد، كلية اللغة العربية،
جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

الجزء الخامس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة المنجز النقدي للإمام السكاكي في النقد الحديث
دراسة " في نقد النقد"

خالد مصطفى أحمد عبدالله

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، أسيوط، مصر.

البريد الإلكتروني : aaa9784aaa@gmail.com

الملخص

ثمة تسعة علوم عربية أسهمت في بناء مفتاح العلوم للإمام السكاكي، هي (الأصوات، والنحو، والصرف، وعلمي المعاني والبيان، والشعر، والحد، والاستدلال، والعروض، والقافية) وقد جعل الإمام هذه العلوم متآخذة متداخلة، تشبه البناء الهرمي في بناء منظومته العلمية، بحيث يكون تأسيس الظاهرة، الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو غيرها، من نتائج ما قبلها، ونتائجها نقطة المنطلق لما بعدها، في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها. ومع ذلك فإن مدرسة السكاكي ومشروعه النقدي، لا يزال موضع غموض وخفاء بين الدارسين، خاصة فيما يتعلق بمراد المؤلف من هذا المشروع، أهو في علوم البلاغة الثلاثة، أم في مشروع نقدي، والبلاغة ضلع من أضلاعه؟. وبناء على ذلك تعددت القراءات التي تلقت مدرسة الإمام السكاكي، ما بين واقف على هذا المشروع النقدي وعده في (علم الأدب)، جاعلًا من السيرورة المعرفية منهجًا في دراساته وتحليلاته، وما بين قاصر على ثلثه الأخير، معتبره في علم (البلاغة)، ومن ثم رمي كتابه بفساد الذوق، وغلق الإبداع، والمناداة بترك مدرسته العلمية، على طريقة القطيعة المعرفية، وتجد آخر يطبق قراءة الإسقاط في تناوله المفتاح، بحجة مخالفة الإمام السكاكي للسلف في الضبط والتصنيف، ومن هنا جاء هذا البحث ليرصد القراءات النقدية حول المفتاح،

مستأنسًا بمفهوم نقد النقد الذي هو: تقديم قراءة ثانية على القراءة الأولى الموجهة للإبداع، متبعًا صورها: المخالفة، أو التأييد، أو التوفيق، أو تقديم قراءة جديدة منزوعة من القراءات السابقة. عالج البحث مباحث من قبيل: مفتاح العلوم بين يدي متلقيه: في ثلاثة مطالب. الأول: النظرة الجزئية للمفتاح – الثاني: النظرة الكلية للمفتاح، الثالث: ما المفتاح) وعالج أيضًا مبحثًا بعنوان: تلقي تبويب السكاكي وتهذيبه.

توصل البحث إلى عدة نتائج كان من أبرزها: أولًا: مشروع السكاكي النقدي في علم الأدب، والبلاغة ضلع من أضلاعه. ثانيًا: العلوم التي أسست منظومة الإمام السكاكي، لا ينبغي النظر إليها منفردة، فهي تؤدي وظيفتها داخل المنظومة من انطلاقها من نتائج ما قبلها والتحام نتائجها بما بعدها. ثالثًا: منظومة الإمام السكاكي تعد امتدادًا طبعيًّا لعلم التأويل الذي سلكه الأصوليون والمناطقة وعلماء الكلام، وهو ممتد في الحاضر مع نقد ما بعد الحداثة والمناداة بتعدد الأنساق في المقاربة الأدبية.

الكلمات المفتاحية: علم الأدب، قراءات نقدية، مفتاح العلوم، نظرة جزئية، نقد النقد .

Reading the critical achievement of Imam Al-Sakaki in modern criticism Study "In Criticism of Criticism"

Khaled Mustafa Ahmed Abdullah.
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Assiut, Egypt.

Email: aaa9784aaa@gmail.com

Abstract

There are nine Arabic sciences that contributed to the building of the key sciences of Imam al-Sakaki, which are (sounds, grammar, morphology, the science of meanings and eloquence, poetry, definition, reasoning, prosody, and rhyme). So that the establishment of the phenomenon, whether phonetic, morphological, grammatical, or otherwise, is one of the results of what preceded it, and its results are the starting point for what comes after it, in a vicious circle that does not know where its two ends are. Nevertheless, Al-Sakaki's school and his critical project is still a subject of ambiguity among scholars, especially with regard to the author's intention of this project. Accordingly, the readings that Imam al-Sakaki's school received were numerous, between the endowment of this critical project and his counting it in the "Science of Literature", making the epistemological process a method in his studies and analyses, and between limiting it to its last third, considering it in the science of "rhetoric" and then throwing it away. His book corrupts taste, closes creativity, and calls for leaving his scientific school, on the method of epistemological estrangement, and you find another who applies projection reading in his handling of the key, under the pretext that Imam al-Sakaki violated the predecessors in the control and classification, hence this research came to monitor the critical readings about the book Miftah AL Uloom drawing on the

concept of criticism of criticism Which is: presenting a second reading over the first reading directed to creativity, following its forms (dissenting, supporting, reconciling, or presenting a new reading removed from the previous readings). The research dealt with topics such as: the book Miftah AL Uloom in the Hands of its Recipient: in three demands (the first: the partial view of the book Miftah AL Uloom - the second: the overall view of the book Miftah AL Uloom , the third: what is the book Miftah AL Uloom) and also dealt with a topic entitled: Receiving the classification and refinement of Sakaki. The research reached several results, the most prominent of which were: First: Al-Sakaki's critical project in (Science of Literature) and rhetoric is one of its sides. Second: The sciences that established the system of Imam al-Sakaki should not be viewed in isolation, as they perform their function within the system by starting from the results of what preceded them and the fusion of their results with what follows them. Third: Imam al-Sakaki's system is a natural extension of the science of interpretation that was followed by fundamentalists, logicians, and scholars of theology.

Keywords: ***Ds: Science Of Literature, Critical Readings, The Book Miftah Al Uloom , Partial View, Criticism Of Criticism..***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

وبعد:

فرغم هذه المكانة العلمية، التي حازها الإمام السكاكي بين العلماء، والقيمة الكبيرة لمصنفه مفتاح العلوم بوصفه واحدًا من مصنفات علوم العربية الجسام، الذي أسس المنظومة الثقافية للحضارة الإسلامية، إلا أنه لم يأخذ مكانته التي يستحقها، في الدرس والبحث، إذا ما قارنته بأقرانه من العلماء، أمثال عبد القاهر والزمخشري وحازم القرطاجني.

يدل على ذلك، نتائج القراءات المتعددة التي قدمها أوائل الدارسين، والباحثون الأكاديميون في بداية العصر الحديث، وقد خرجت إلى المتلقي بشكل يدعوه إلى النفير، بل والتحذير من السكاكي ومصنفه، وكأنه كتاب قد وضعه صاحبه لتحجير العقول.

وقد أثرت هذه الدعوات، على البحث والدرس مما جعل الدارسين، يهاجمون السكاكي، ومدرسته العلمية، حتى أصبح هذا الأمر سنة متبعة، وسجية متواترة، ليس في البحوث العلمية فحسب، بل تعدى ذلك إلى الندوات العلمية، والمحافل الأدبية، فعندما يُذكر السكاكي، يذكر معه إغلاق الإبداع وجفاف منابع الذوق، وجمود الفن...وما إلى آخره.

حتي أصبح نقد الإمام السكاكي رؤية نقدية لا يُعارض ولا يُناقش، بل بديهة ومسلمة لكل متناول للإمام ومصنفه.

ولما كانت هذه القراءات التي تلقت المفتاح – في جملتها – متشابهة في محتواها العلمي، ومتحدة في نتائجها، جعلت القارئ يشك في أنها لم ترجع إلى السكاكي، ولم تتحقق من مراده ومقصوده من مفتاحه؛ لأنها كلها أشبه بما يكون بنقل متواتر، وأول من آخر، وإن تحقق هذا الشك فهذا باب من أبواب الفساد في العلم، ويجب إغلاقه، فيجب أن تقرأ ما كتبه العالم، ولا تعتمد عما كتب عنه إلا بالتحقق من قراءتك له أولًا.

وانطلاقًا من ذلك جاءت هذه الدراسة تحت عنوان: **قراءة المنجز النقدي للإمام السكاكي في النقد الحديث - دراسة " في نقد النقد"**

- للتحقق من النتائج المتواترة حول منجز الإمام السكاكي النقدي في الكتابات النقدية الحديثة.
- محاولة للكشف عن الوشائج التي تنتظم دعائم رؤية السكاكي العلمية.
- كما كانت" محاولة للكشف عن موقع منجز الإمام السكاكي في الثقافة العربية القديمة والدرس النقدي المعاصر.
- تقديم قراءة جديدة، أو مسكوت عنها للإمام السكاكي، وإنصافه مما ألصق به، من تهمة تحجير العقول.

تساؤلات الدراسة

جاءت هذه الدراسة لتجيب على التساؤلات الأتية:

ما المفتاح؟ وما موضوعه؟ وما العلاقة الجامعة بين مباحثه: (المبحث الصرفي والنحوي ومبحث علم المعاني والبيان؟)، وما الخيط الذي يربط

بين هذه المباحث؟ ولماذا اتهم النقاد المفتاح بالجمود وغلق الإبداع؟ هل لأنهم نظروا إليه نظرة جزئية وقصروه في علوم البلاغة؟ أم أنهم تلقوا المفتاح بعيدًا عن مراد السكاكي ومقصوده من تأليف كتابه؟ وما موقع منظومة السكاكي في التراث العربي؟

الدراسات السابقة:

تولدت هذه الدراسة من دراسات سابقة، يعد من أبرزها:

١.المنجز البلاغي والنقدي للسكاكي في ميزان النقد المعاصر، أ. عبد الفتاح جحيش، بحث منشور في مجلة (الآداب ، ع١٥ جامعة منتوري قسنطينة – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها سنة : ٢٠١٥م).

البحث يتناول ما زعمه النقاد المحدثون بالتجديد في البحث البلاغي، وإبعادهم مفتاح العلوم بحجة الجانب الفلسفي.

يذكر الباحث ما قدمه مصطفى الجويني في مقدمة كتابه (البلاغة العربية تأصيل وتجديد)، وينكر عليه التجديد، ويأخذ عليه استبعاده كتاب السكاكي من مؤلفات السلف التي تناولها في مقدمة كتابه. يقول: (مع أنني لم ألمس له – أي مصطفى الجويني– أي تجديد يذكر، والطريف المغرب أنه أقصى كثيرًا من علماء الكلام الذين كان لهم الفضل في تطوير هذا العلم وتأسيسه على القواعد النظرية، وإمداده بما يحتاج إليه من أدوات منهجية وتفسيرية، ويأتي على رأس هؤلاء أبو يعقوب السكاكي الذي يحسب له – فقط– حسن الترتيب والتقسيم، بينما يحسب عليه الجمود والتعقيد وإدخال المنطق العقيم في البحث البلاغي)[١]

(١) ينظر: البحث ص ١٥٠.

ثم يتناول البحث موقف ابن خلدون من السكاكي، وانصافه له[١]، ثم يعرج على معالجة قضايا نقدية جدَّدَ فيها السكاكي، مثل: اللغة مدخلًا أساسيًّا لدراسة المعنى في الشعر[٢]، مصطلح العلم والصناعة[٣]، العلم والذوق[٤]. والبحث يقع في عشرين صفحة. وواضح من منهج البحث ونصوصه أنه يختلف مع هذا البحث من حيث المنهج والعرض والتناول والمعالجة.

٢.تلقي "مفتاح العلوم" للسكاكي "ت. ٦٢٦ ه." في الكتابة العربية الحديثة: تعدد الرؤى واختلاف الأحكام، بحث للدكتور/ عمار عثماني، مجلة جذور، عدد٤٦، أبريل ٢٠١٧.

وهي دراسة وصفية موجزة تقع في نطاق البلاغة؛ لأن صاحبها جعل تركيزه على تلقي الفروع البلاغية من تشبيه واستعارة ومجاز وبديع وما إلى آخره، فهي تختلف مع هذه الدراسة من حيث المنهج والمقصد، والمشكلة التي تسعى إلى حلها.

وقد قسمها صاحبها قسمين:

القسم الأول وسمه بالجانب السلبي: وفي هذا الجانب ينقل الباحث النماذج النقدية التي تجعل الفلسفة والمنطق، وما أعقب هذا الأخير من تقسيم وتحديد، هو سبب جمود المفتاح.

وليس للباحث في ذلك أي رؤى شخصية، سوى نقل نماذج النقاد وترتيبها، بحيث تكون متلائمة، في سلسة متصلة.

---

(١) ينظر: البحث ١٥٣

(٢) ينظر: البحث ١٥٤

(٣) ينظر: البحث ١٥٧

(٤) ينظر: البحث ١٥٨

فمثلا عند حديثه عن دور الفلسفة في جمود البحث البلاغي في المفتاح، تجده ينقل نصًّا للدكتور/ علي عشري زايد: يقول فيه هذا الأخير: (يكاد المحدثون يتفقون على أنّ السكاكي استخدم المنهج التقنيني المنطقي في مفتاحه، وهو المنهج الذي يهتم بالقانون والقاعدة على حساب التذوق الفني والتحليل الأدبي، والذي تحولت البلاغة في إطاره إلى مجموعة من القواعد والتعريفات والتقسيمات الجامدة، وتقهقر النص الأدبي إلى المرتبة الثانية بعد القاعدة، أو الثالثة بعد التعريف والتقسيم) (١)

وبعد أن ينتهي الباحث من سرد كلام على عشري، يكمل هو قوله: (ومن القضايا التي يتضح فيها تأثير المنطق، قول السكاكي في حقّ الفنون البيانية...) ويذكر نصًّا للسكاكي.

ويعلق على كلام السكاكي بنص منقول، إذ يقول :(ويعلق عمر عبدالهادي عتيق على كلام السكاكي بملاحظة مهمة مفادها الربط بين الأساليب البيانية من تشبيه وكناية واستعارة يفضي إلى تجريد الأساليب البيانية من الغاية الجمالية، وينفي الملكة والذوق عنها) (٢)

وهكذا في معظم الجزء الأول من البحث الموسوم بالقراءة السلبية للمفتاح، ينقل كلام النقاد الذي يتناول فروع علم البلاغة، ثم يذكر نصًّا للسكاكي، ثم ينقل نصًّا سلبيًّا آخر لأحد النقاد يوجهه أمام نص السكاكي.. (٣)

وفي الجانب الإيجابي تجده ينقل ما يفيد براءة السكاكي مما وجه إليه من سهام نقدية، ويحاول أن يثبت أن ما لصق بمفتاحه يرجع سببه للخطيب

---

(١) ينظر : ص٤٧

(٢) ينظر : ص٤٧

(٣) ينظر : ص٤٧

القزويني، يقول: (ويحصر – بعض الباحثين – قضية البلاغة القديمة في غياب الاهتمام بمشروع السكاكي، مع لصق تهمة التحجر في القزويني..)

ويذكر الباحث ما ينقل به تهمة التحجر من السكاكي إلى الخطيب. (١)

رغم أن طريقة الخطيب، ومنهجه، وأسلوبه: أوضح من السكاكي، ولا سيما بعد ما أكثر اقتباسه من شيخي العلم: عبد القاهر والزمخشري.

وهي على ذلك دراسة بلاغية تقرأ المفتاح على أنه في علم البلاغة، ففي الجانب السلبي تذكر سبب فساد التشبيه والكناية والمجاز، وفي الجانب الإيجابي تذكر الدفاع عن التشبيه المجاز الاستعارة، وهكذا .

وهي تقع في خمس وعشرين صفحة. شاملة المخلص والمقدمة والمراجع والمصادر.

وكان دورها أن مدت هذا البحث بالمراجع والمصادر.

٣- موقف الدكتور شوقي ضيف من المنجز البلاغي للإمام السكاكي دارسة في نقد النقد للباحث د/ محمد عبد الفتاح النجار، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد الخامس والثلاثون، الإصدار الثاني.... أكتوبر ١٤٤٤/٢٠٢٢م. وهي دراسة جزئية مقصورة على تلقي الدكتور شوقي ضيف للمنجز البلاغي للسكاكي. لا المنجز النقدي، فهي تختلف مع هذه الدراسة من حيث المنهج والتساؤلات التي جاءت الدراسة لتجيب عنها.

وبعد هذه الدراسات السابقة، جاء هذا البحث سائرًا على المنهج الأكاديمي المتبع في الدراسات العلمية، من **افتتاحه بمقدمة**: فيها

(١) ينظر: ص، ٥٩.

الحديث عن الموضوع وأسباب اختياره وتساؤلاته، وخطته ومنهجه. وقد سبق المقدمة **ملخص** على وفق قواعد الاستخلاص ليتضمن ما يلي:

- فكرة البحث.
- عنوانه.
- مباحث البحث.
- أهم نتائج البحث.
- خمس كلمات مفتاحية مرتبة ألفبائيًّا:

وجاء التمهيد ليتضمن: أنواع القراءة في الدراسات المعاصرة .

ثم المبحث الأول بعنوان : (مفتاح العلوم بين يدي متلقيه) وفيه ثلاثة مطالب **الأول:** القراءة الجزئية للمفتاح. **المطلب الثاني**: القراءة الكلية للمفتاح. **المطلب الثالث:** ما مفتاح العلوم.

والمبحث الثاني: بعنوان:(قراءة التبويب والتهذيب لمفتاح العلوم في النقد الحديث)

ثم الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، **ثم ثبت المصادر والمراجع**، وكل ذلك من خلال المنهج النقدي.

والله الموفق والهادي إلى صراط مستقيم .

التمهيد

أنواع القراءة في الدراسات المعاصرة

الناظر في الخطاب النقدي المعاصر، يجده حافلًا بالقراءات العديدة للنصوص الإبداعية، والنقدية، ويجد ثلاثة أضرب في قراءة التراث، ويمكن للدراس أن يصنفها على النحو التالي:

١. قراءة الإسقاط.

٢. قراءة القطيعة المعرفية.

٣. قراءة السيرورة المعرفية.

أولا: **قراءة الإسقاط**:

وهي عبارة عن رد كل فكر نقدي حديث أو معاصر، إلى أصوله التراثية العربية، وأن الأسس النقدية التي قدمها السلف، هي الجذور التي نبت منها الدرس النقدي المعاصر فـ(الأنظار والآراء التي وجدت في كتب المحدثين من الغربيين، ولابسوها في محاضراتهم ومقاييسهم النقدية، يتوافق مع عناصر كثيرة منه مع ما ضُبط عند النقاد العرب القدماء، سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا ..... [١].

ويصفها د جابر عصفور بأنها:(إسقاط الماضي على الحاضر، على نحو يخلع القيمة على المتشابه مع الماضي، ويسلبها من المخالف له، مما يؤدي إلى إلغاء أي وجود فعلى للحاضر،والعجز عن إدراك أي أصيل فيه)[٢].

---

(١) ينظر: التراث اللغوي العربي من الإسقاط إلى الإقساط، يوسف منصر، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، ع٣، ٢٠١٦م، ص ١٧.

(٢) قراءة التراث النقدي، د جابر عصفور، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م، ص: ١٤٢،

والناظر إلى قراءة الإسقاط من خلال هذا الضبط، يجد أنها في حقيقتها غير معقولة، يعني لا يستطيع العقل أن يتقبلها؛ لأنها تتوصل في النهاية إلى تجميد التاريخ وعدم تجدده، وتفضي إلى تزييف الوعي، وإلى نوع من الرضا عن النفس لا يشهد له تاريخ العلوم، ولكن من المؤكد أن يقال: إن كل لغة لها نظامها، وخصائصها، وطرائقها في صناعة بيانها، وقد أشار السيرافي- بشكل واضح- إلى أن أي (لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها، ووزنها وميلها، وغير ذلك ممّا يطول ذكره)[١]

ويمكن تقسيم الإسقاط - بالنظر إلى ثلاث وسائط أساسية، نوعه ودرجاته واتجاهه- إلى: إسقاط وجود "و" وإسقاط تقويم"..... [٢]

" **إسقاط وجود**: وهي القول بأن كل ما توصل إليه العصر الحاضر، من إنجازات نقدية، موجود في التراث، ماثل فيه، ومن أمثلة ذلك أن يقال: إن التناص بالمفهوم المعاصر موجود بالصورة نفسها في النقد العربي القديم، تحت مسمى الاقتباس أو الأخذ أو الإغارة، أو السلخ.

وعند حديث الإسقاطيين عن الوحدة العضوية في الدرس النقدي الحديث، يذكرون نص ابن طباطبا العلوي الذي يقول فيه: (أحسَنُ الشَّعْرِ مَا

---

(١) الإمتاع والمؤانسة: أبو حيّان التوحيدي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، طبعة درا الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧١م، ص : ١٠٥.

(٢) ينظر: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي" الأصول والامداد ، د/ أحمد المتوكل، الناشر مكتبة دار الأمان الرابط (ب. د) ص١٦٩

يَنتَظِمُ فِيهِ القَوْل انتظامًا يَتَّسِقُ بِهِ أوَّلُهُ مَعَ آخِرِهِ على مَا يُنَسَّقُهُ، قائلَهُ، فإنْ قُدِّم بَيْتٌ على بَيْتِ دَخَلَهُ الخَلَلُ كَمَا يدخُلُ الرَّسَائِلَ والخطَبَ إذا نُقِضَ تأليفُهَ)[1]

وبناء على ذلك، يرى القائلون بهذه القراءة أن هذا العصر يكاد يكون عصرًا خاليًا من الإبداع، ولم ينتج شيئًا على الإطلاق يسند له، وهذا ليس مقصورًا على علوم النقد فحسب، بل موجود في جميع العلوم الأخرى من نحو ولغة واشتقاق وغيرها.

وهذا كلام فيه نظر؛ إذ فيه إغماض لمنجزات نقدية قدمها النقد الحديث لا يمكن إنكارها أو الغض منها ، وكون أن هناك إشارات لبعض ما أنتجه النقد الحديث في كلام القدماء لا يعني إرجاع هذا المنتج للقدماء.

إضاقة إلى ذلك أنه لا يوجد راسخ محقق من شيوخ العرب المحدثين قال هذا، وليس فيهم من أنكر جملة النبوغ لدي المفكرين والنقاد الأوربيين.

الثاني: **إسقاط التقويم**: وهو عبارة عن نقد نظرية ما، بسبب عدم تبعيتها للقديم، ومثال ذلك ما وجهه النقاد المحدثون في العصر الحديث من سهام للمتأخرين من السلف ولصنيعهم الممثل في التبويب والتجديد والفصل بين العلوم بحجة أن سلفهم لم يقدموا ذلك.

فقراءة الإسقاط قصارها أن تقول: هذا يشبه هذا، وهذا قيل فيه كذا، وهذا غير مقبول؛ لأنه لم يقل به الأقدمون، ومن ثم ترتب على ذلك (انتشار أخطر أمراض أزمة الثقافة العربية، مرض الفقر في الإبداع والتجديد، والإخلاد إلى المحاكاة والتقليد)[2]

ولذلك كانت قراءة الإسقاط هي نفسها حرية بالإسقاط.

---

(١) عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة ، ص٢١٣.

(٢) أزمة الثقافة العربية ، د/ محمد عمارة، مجلة الاجتهاد، ع ١٠-١١، شتاء وربيع ١٤١١هـ،١٩٩١، السنة ٣، ص ٥٤.

ثانياً : قراءة القطيعة المعرفية.

وإلى جانب قراءة الإسقاط، كانت قراءة القطيعة، التي أسسها أصحابها على عدم الالتفات إلى التراث و(نبذ الفكر النقدي العربي القديم جملة وتفصيلًا، وتصر على إخراجه من الحوار الذي يقوم عادة بين التيارات اللغوية قديمها وحديثها)[١].

وفكرة القطعية المعرفية جاء بها الفيلسوف الفرنسي (غاستون باشلار – *Gaston Bachelard*) وقال بها في العلوم البحتة،...[٢]. ولما جاء (لوي ألتوسير *Louis Althusser*) نادى بالأخذ بفكرة القطعية المعرفية في العلوم الإنسانية، ومن هنا تم الأخذ بها في التاريخ، وفي علوم اللغة جميعها.....[٣].

وجدير بالذكر: أن هذا الدعوات قد بدأت من الغرب، لكن النقاد الغربيين، لم يأخذوا بها في ممارستهم العملية للنصوص، فما زالت جماجمهم يونانية تراثية، تنطق بما قدمه لهم أرسطو من مباحث في علم المنطق، وقد تم استثمار ذلك في الدراسات اللغوية تحت باب الحد والاستدلال اللذين هما عماد الدرس النقدي المعاصر، ولك أن تراجع المنجز النقدي للعقدين الأخرين في المؤلفات الغربية، تجد " الحجاج " كله مؤسس على كلام أرسطو بكل صراحة.

---

(١) ينظر: صدى الحداثة ما بعد الحداثة في زمنها القادم، د/ رضوان جودت زيادة، المركز الثقافي العربي لبنان، ٢٠٠٣م ص٤٠.

(٢) التراث اللغوي العربي من الإسقاط إلى الإقساط، ص ١٧.

(٣) ينظر: الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقي ٢٠٠٧م، ص ١٠٩ وما بعدها.

أما في الدرس العربي المعاصر فقد عمد بعض النقاد العرب، إلى المناداة بهذه الفكرة، وجعلها وريثًا معرفيًّا للقديم، مثل محمد عابد الجابري الذي لا يتردد في المجاهرة بقوله: (إن تجديد العقل العربي يعني في المنظور الذي نتحدث فيه، إحداث قطيعة إبيستيمولوجية تامة مع بنية العقل العربي في عصر الانحطاط، وامتداداتها إلى الفكر العربي الحديث والمعاصر)[١].

وكذلك تجد هذه الدعوة في مشروع (الثابت والمتحول) لأدونيس خاصة قوله: (إن الثقافة العربية بشكلها الموروث السائد ذات مبنى ديني، أعني أنها ثقافة اتباعية، لا تؤكد الاتباع وحسب، وإنما ترفض الإبداع وتُدينه، فإن هذه الثقافة تحول بهذا الشكل الموروث السائد، دون أي تقدم حقيقي. لا يمكن – بتعبير آخر – أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي، إذا لم تتهدم البنية التقليدية للذهن العربي، وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه) [٢]

والقائلون بهذه الفكرة، يعدون الظواهر النقدية المعاصرة، من الأسلوبيات، والسيميائيات، والتداوليات، وريثًا معرفيًّا للقديم، ومن المسلم به أن الوريث بصفة عامة، لا يكون الا لمن مات له من يرثه، فلا يحدث إرث عادة إلا بعد وفاة الموروث، ومن ثمَّ كانت دعوتهم في باطنها، المناداة بنعي المنجز النقدي القديم، وهذا القول غير مستساغ ومتجوز إلى حد بعيد.

---

(١) نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٦ ،١٩٩٣،ص٢٠.

(٢) الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، الناشر: دار العودة بيروت،١٩٧٤م، ص٣٢.

قراءة السيرورة المعرفية.

هذه القراءة تؤمن بأن التراث ممتد في الحاضر، ماثل فيه، فاعل وشريك، قادر على أن يستنبط منه ما تتم به المسيرة، وفي هذا السياق يقول على عبدالرازق تلميذ الشيخ محمد عبده: (وما لنا إلا أن نبحث في كتب الأسلاف عن كنوز العلوم، فما أمكن استخلاصه منها أخذناه، وما لم يمكن تركناه لمن يجيء بعدنا)(١)

فالسيرورة المعرفية تعتبر التراث هو: (العطاء القومي الحضاري المتزايد الذي يتجهز به الإنسان في مجتمع من المجتمعات لخوض غمار المستقبل وهو دائم ومتنامٍ، ولا يرتبط بمرحلة واحدة من مراحل التاريخ)(٢)

والسيرورة تؤمن بأن التراث غني بالممارسات النقدية، التي من خلالها نستطيع أن نستنبط الإمكانات الكامنة، التي تفرز إفادتنا من الجديد، وتُمسك علينا شخصيتنا ورؤيتنا، وتحفظ هذا التواصل المطلوب بين ماضي هذه الأمة وحاضرها .

هذا وقد كلف الرافعي، وشاكر، وأبو موسى، بإرثنا النقدي والأدبي، وقاموا بكشف منهجه، والدعوة لإنصافه، والإغراء بتكملته، وإثرائه، وإنضاجه.

---

(١) أمالي على عبد الرازق في علم البيان وتاريخه، علي عبد الرازق ، مطبعة مقداد مصر ١٣٣٠هـ ١٩١٢م ص: ٣٧.

(٢) السرد في التراث العربي.. رؤية جمالية حضارية، مصطفى عطية جمعة، ص١٠٦.

المبحث الأول:

مفتاح العلوم بين يدي متلقيه

لقد تُدُوِل في الدراسات النقدية والبلاغية، أن الإمام السكاكي، أول من قسم علوم البلاغة قسمة ثلاثية، إلى: علم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، حتى صار عندما يُذكر كتابه مفتاح العلوم، يتبادر إلى الأذهان، أنه في علوم البلاغة الثلاث دون غيرها.

إضافة إلى ذلك أن السكاكي يعد أول من هذب العلوم العربية وصنفها، إلى أبواب ومباحث وجزئيات، وأنه أول من قدم الصياغة النهائية – تقريبًا– لحدود هذه العلوم، ووزع فيما بينها فنون البلاغة ومباحثها، واعتمد في ذلك الصيغة الفلسفية المنطقية من حد وتقسيم.

والمتصفح للمفتاح، يجد هذه العلوم الثلاث، تمثل قسمًا واحدًا، وأنه مصنف في ثلاثية أخرى غير المتداولة عنه في كتب النقد، فقد جعله الأمام السكاكي ثلاثة أقسام.

القسم الأول: في علم الصرف، وتمامه بعلم الاشتقاق، وقد سبق علم الصرف بمقدمة في علم الأصوات، تحدث فيها الإمام السكاكي، عن مخارج الحروف ومواضعها وفق مخطط ذهني، يعد الآن عماد الدرس الصوتي الحديث.

القسم الثاني: في علم النحو وتمامه.

ثم القسم الثالث: في علم المعاني والبيان، وذكر علومًا مساندة أخرى تتعلق بهذا القسم، تشمل علمي الحد والاستدلال، ثم علم الشعر ولوازمه بعلمي العروض والقافية.... (١)

فهذه تسعة علوم في المفتاح قام السكاكي بتصنيفها وتبويبها وفق منهج معين. وبعد كل هذه العلوم تجد من النقاد من يغض بصره عن جميع مباحث المفتاح، ويجعله في علوم البلاغة الثلاثة، ومن ثم تجده يجاهر في النداء بترك مدرسة السكاكي العلمية في دراسة البلاغة؛ لأنها جافة، وعقيمة وغير ذلك من الاتهامات المعروفة.

ولكن ما هذا المفتاح؟ هل هو في علوم البلاغة؟ أم هو في مشروع نقدي أكبر من ذلك، وعلم البلاغة ضلع فيه؟ وإن كان في مشروع نقدي، فما موقف النحاة مما قدمه لهم السكاكي من مباحث نحوية؟ وكذلك الصرفيون وعلماء الاشتقاق؟

وهنا انقسم المتلقون للمفتاح إلى صنفين الأول: نظر إليه نظرة جزئية في علوم البلاغة الثلاثة، الثاني نظر إليه نظرة كلية في مشروع نقدي أكبر.

ولتحقيق ذلك والإجابة على هذه التساؤلات، يجدر بالبحث أن يقسم إلى:

- **المطلب الأول** : **القراءة الجزئية للمفتاح**.
- **المطلب الثاني**: **القراءة الكلية للمفتاح**.
- **المطلب الثالث**: **ما مفتاح العلوم**.

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم، المؤلف: الإمام أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م، ص٧.

المطلب الأول : القراءة الجزئية للمفتاح

لقد بدأ مهبُّ الريح على مفتاح العلوم للإمام السكاكي في العصر الحديث، من عودة الشيخ محمد عبده من منفاه سنة١٨٨٨م، وقد أخذ يُدرس كتابي عبدالقاهر: الدلائل، والإعجاز، وكان في تدريسه يرمي بعبارات فيها من الغمز بالسكاكي ومنهجه في التأليف، وخاصة بعدما(نشب الخلاف بينه وبين علماء الأزهر واحتدم، وتطايرت الكلمات على لسانه في ذمهم وذم كتبهم)[١].

ومن ثم كان طبيعيًّا أن يتلقف تلاميذ الشيخ محمد عبده هذه الطعنات على مفتاح السكاكي، ويروجوا لها في مؤلفاتهم كما فعل الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبدالرحمن البرقوقي.... [٢].

وفي عام ١٩٣٨م، تم تشكيل فريق لوضع خطط ومناهج الحقب الدراسية، واجتمعت اللجنة، وقد أوصت، باستبعاد مفتاح السكاكي، بحجة إفساده لعلوم البلاغة بسبب هذه القسمة الثلاثية [٣].

---

(١) ينظر: أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود شاكر، الناشر: دار المدني بجدة، ب- د ص١٩.

(٢) ينظر: أسرار البلاغة، ص١٩.

(٣) ينظر: التقسيم الثلاثي لعلوم البلاغة العربية" بين الموروث البلاغي ومحاولات التجديد " د/ محمد عبد الفتاح إبراهيم النجار، بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بإيتاي البارود (العدد الحادي والثلاثون) ص١٣٤ ناقلا عن صحيفة دار العلوم، عدد شهر أكتوبر، عام: ١٩٣٨م ص٥٨:٥٦.

ومن هنا جاء الدراسون واحدًا تلو الآخر، يعتبر المفتاح صنمًا، يجب استبعاده من الحياة العلمية، ومن ثمَّ رجمه بالحجارة؛ لأنه أفسد، وأغلق، وما إلى آخره.

وأصحاب هذه النظرة قصروا المفتاح على علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع) وغضوا أبصارهم عن باقي مباحث الكتاب من صرف، ونحو، وشعر، وعروض وغيرها.

ويعد أحمد المراغي:(٠٠٠ – ١٣٧١ هـ = ٠٠٠ – ١٩٥٢ م) – وهو من تلاميذ الشيخ محمد عبده – من المتبنين لهذه النظرة، فقد وظف مفتاح العلوم في دراساته ومؤلفاته النقدية، على أنه كتاب في علوم البلاغة، ناظرًا إلى جزئه، غاضًّا بصره عن باقي المباحث المسهمة في بنيته، ومن ثمَّ رميه بالجمود والتعقيد؛ لأنه – ربما– لم يقف على مقصود الإمام من كتابه، ولا مراده من تأليف مصنفه ومشروعه اللغوي.

وتعد أولى الركائز التي استند عليها المراغي، في هجمته على السكاكي، هذه القسمة الثلاثية لعلوم البلاغة، التي يراها استوت عند السكاكي، يقول: (فلا نعلم أحدا سبق السكاكي إلى قسمة الفصاحة الثلاثة المعروفة... [١].

ثم يقول:(ولا أرى للقسمة الثلاثية وجها صحيحًا ولا مستندًا من رواية أو دراية)[٢].

(١) ينظر: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، ، ط مصطفى البابي الحلبي. ص، ١١١.

(٢) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص١١١.

ويعلل المراغي لنقد التقسيم من جهة الرواية، على اعتبار أن المتقدمين الذين صنفوا قبل السكاكي كأبي هلال في الصناعتين، وابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة، وعبد القاهر في كتابيه أسرار البلاغة، ودلائل الاعجاز، لم ينحوا هذا النحو الذي نحاه... [1]. ولم يقسموا هذه القسمة ولم يشيروا إليها لا من قريب ولا من بعيد.

إضافة إلى ذلك فإن البديع كان عند السلف ممزوجًا ومجدولًا في المعاني والبيان فالزمخشري أحيانًا يسمي هذه العلوم بالبيان، وأحيانًا أخرى يسميها بالبديع؛ إذ يقول عند الكلام على قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى)(سورة البقرة – الآية ١٦) إنه من الصنعة البديعية.

كذلك تجد عبدالله بن المعتز، وقدامة بن جعفر، وصاحب الصناعتين وابن رشيق في العمدة، أدخلوا البديع في مباحث البيان، فجعلوا من البديع الاستعارة والمجاز والكناية والتعريض.

وكذا عبد القاهر في أسرار البلاغة، إذ يقول: (وأما الطباق والاستعارة وسائر أقسام البديع فكونها معنوية أجلى وأظهر إلى آخر ما قال..)

ثم ينتهي المراغي إلي قوله: (من أين أتى السكاكي بهذا التفاوت؟ وجعل بعضًا منها فيما سماه البيان؟ وبعضًا فيما سماه البديع؟..... وإنا لنعلم أن من كان ليس بأقل منه رسوخًا في نقد الكلام وبيان غثه من سمينه، وجيده من رديئه، فكيف قد خفي هذا على جلة العلماء مدى القرون الطوال؟ فجاء السكاكي وكشفه، اللهم إنا لا نجد وجهًا لصحة هذا الكشف الجديد، ولو كنا وجدناه لما شككنا في صحته، إذ لسنا من القائلين بتلك النظرية: ما ترك

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص١١٥.

الأول للآخر شيئًا، إذ لو صحت ما اخترع جديد، ولا تقدم علم ولا تحسنت صناعته) [١].

إن الناظر للنقد الذي وجهه المراغي للسكاكي، يجد المراغي يمارس ضوابط" قراءة الإسقاط" التي تقول: بحضور القديم بكله وشكله ومنهجه في الحديث، حتى يكون الخطاب النقدي لديه موضع قبول وألفة، أما التجديد وملائمة البحث لحاضر الأمم ومستقبلها، فهذا مرفوض عند المراغي تمامًا، لماذا: لأن ركائزه النقدية للهجوم على مشروع السكاكي تجلَت في:

- أنه لم ير أحدا سبق السكاكي إلى قسمة الفصاحة الثلاثة المعروفة.
- كيف يكشف السكاكي شيئا خفي على جلة العلماء مدى القرون الطوال.
- العامل الأساس في تطور الظاهرة النقدية الرواية الصريحة، من كونها تنتقل من فلان إلى فلان إلى فلان.

فهذه المعايير النقدية التي وجهها المراغي للإمام السكاكي، وفي المقابل تعكس ضوابطه النقدية التي يرتضياها للنقاد، لتكون:(في إطار إسقاط الشاهد على الغائب، والارتداد إلى مرحلة متقدمة من عمر المعرفة للتعبير بممارساتها التراثية القديمة عن المستجدات المعرفية الحديثة)[٢]

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ص١١٧.

(٢) آلية "الإحياء" في التنمية الاصطلاحية العربية المعاصرة وإشكالية التعبير بالتراث عن روح العصر النقدي ، يوسف وغليسي، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة قسنطينة، عدد ٧، ٢٠١١م، ص٢٦٥.

إن هذه المقاييس النقدية التي رمى بها المراغي مفتاح السكاكي، ومن ثمَّ ارتضاها لنفسه معايير نقدية لجودة الخطاب النقدي. هي نفسها ضوابط قراءة الإسقاط بكمها وكيفها.

نعم إن البحث في الموروث يسعفنا في الظفر بمعادل مواز لممارسة الظاهرة النقدية الحديثة، وهذا شيء متحقق إلى حد قريب، لكن نسبة وقوع الحافر على الحافر بهذا الشكل تظل غاية من الصعب إدراكها.....[١]

وانظر في قوله: (لم يترك الأول للآخر شيئاً)، تحتاج إلى نظر أيضًا(إذ أن هذه قاعدة ينبغي أن لا تتخذ دليلًا في البحث العلمي، وإلا ثبطت العزائم وفترت الهمم وترك الناس البحث والتتبع)[٢]

لكن الامام السكاكي كان يعي جيدًا بالسيرورة المعرفية التي تبنى على (تأسيس للحاضر أو المستقبل على أصول الماضي، مما يسمح ببعث الجديد عبر إحياء المكتسب)[٣] ومن ثمّ صنف كتابه هذا من خلاصة ما توصل إليه السلف، وقد ذكر فضلهم في تصنيفه بقوله: (وعلماء هذا الفن وقليل ما هم كانوا في اختراعه، واستخراج أصوله، وتمهيد قواعده، وأحكام أبوابها، وفصولها، والنظر في تفاريعها، واستقراء أمثلتها اللائقة بها، وتلقطها من حيث يجب تلقطها، وإتعاب الخاطر في التفتيش والتنقير عن ملاقطها)[٤]

---

(١) آلية "الإحياء" في التنمية الاصطلاحية العربية المعاصرة ، ص٢٦٥

(٢) أحمد مطلوب ١٢٥.

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية. المؤلف: الدكتور عبد السلام المسدي الناشر: الدار العربية للكتاب ص١٢

(٤) مفتاح العلوم، المؤلف: الإمام أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م، ص ٤١٤.

فهذه تسعة أعمال جسام، كانت مثل الجذور التي نبت منها المفتاح، وكلها من أعمال السلف.

فالسكاكي وقد سبقه الرازي في " نهاية الايجاز" قصدا إلى ضبط معاقد هذا العلم، وترتيبها، وتيسير تحصيلها على الطلاب، لما أحسّوا أن كلام الشيوخ قبلهم يصعب تمثيل كلامهم على المبتدئين.

ونقد المراغي السكاكي؛ لأنه جاء بصنيع خفي على جلة العلماء مدى القرون الطوال، فجاء السكاكي وكشفه، هذا النص يحمل الرؤية النقدية للمراغي التي يرتضيها هو ولا تتلاءم مع الثقافات الحية، وفي الوقت نفسه هذا أمر حققه الإمام السكاكي، إذ ذكر ذلك صراحة، بأن ما قدمه قد خفي على السلف، ومن ثمَّ قدم وصيته لمتلقيه وتلاميذه عند قراءتهم لمصنفات السلف، أن لا ينقصوا من شأنها شيئًا، على اعتبار أنهم لم يقدموا ما قدمه هو من إحكام وضبط، فيقول: (وإني أوصيهم – يعنى متلقيه– إن أورثهم كلامي نوع استمالة وفاتهم ذلك في كلام السلف إذا تصفحوه أن لا يتخذوا ذلك مغمزًا للسلف أو فضلًا لي عليهم، فغير مستبدع في أيما نوع فرد أن ينزل عن أصحابه ما هو أشبه بذلك النوع في بعض الأصول أو الفروع أو التطبيق للبعض بالبعض متى كانوا المخترعين له) [١]

وليس في ذلك تقليل من شأن السلف في شيء، وإنما الإمام نظر إليهم بعين زمانهم لا بيعن زمانه، فقال: (كما عسى أن يقرع سمعك طرف من ذاك

(١) مفتاح العلوم، ص ٤١٣.

فعلوا ما وفت به القوة البشرية إذ ذاك، ثم وقع عند فتورها منهم ما هو لازم الفتور)[١]

فواضح من النص السابق، أن الإمام السكاكي ينظر إلى سلفه بعين زمانهم، ويعود بتقصيرهم إلى الفتور(وقد كان دقيقًا جدًّا في تقييد كلامهم هذا بقوله: (إذ ذاك)، ناظرًا اليهم بعين زمانهم لا بعين زمانه، ثم جاء اعتذاره عن تقصيرهم مهذبًا مقنعًا حين أرجعه الى الفتور. الذي هو ضرب لازب على البشر أجمعين)[٢].

ويبدو أن جذوة الإحراق على مفتاح العلوم كانت مشتعلة، حتى إنك ترى شرارتها تصل علماء الأزهر، فتجد من يدلي منهم بدلوه في هذا المضمار، ويهاجم تراث السكاكي، ويصفه بالجمود والتحجر، ناظرًا إلى المفتاح هذه النظرة الجزئية، ومرتكزًا على فساد القسمة الثلاثية.

ومن هؤلاء الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي الذي يقول: (إن السكاكي قد أمعن في الغوص بقواعد البلاغة إلى أعمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة، وجرى في ذلك إلى غاية بعيدة المدى، مترامية الأطراف، كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر في النزول بالبلاغة إلى هذا الدرك الذي ترى عليه البلاغة الآن)[٣].

---

(١) مفتاح العلوم، ص ٤١٤.

(٢) البحث البلاغي، د محمود مخلوف ٣١٩.

(٣) مقدمة تحقيق الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجي لكتاب الإيضاح للخطيب القزوينى: – دار الجبل، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٩٢/٦.

هذا كلام غير دقيق ولا يمكن أن يمر على المستمع دون تحقيق، خاصة عندما يرى شخصية ذات قامة علمية مثل الإمام السكاكي، الذي يعد رائدًا من رواد مجد العربية، وتدريسها كلها قائم على صنيع الإمام السكاكي، ثم يرمي الإمام بهذه النبال والسهام من كل صوب وحدب.

ويأتي الشيخ أمين الخولي وقد عدد أسماء البلاغيين الذين هم من أصول غير عربية، وقال فيهم: (إن كثرتهم من غير العرب، وكل أولئك الذين مرت بك أسماؤهم آنفا، لا حظ لهم من عروبة) وعند حديثه عن الإمام السكاكي قال: (وإذا كانت عُجمة مع فلسفة فقد كمل البعد عن مجال الفن وروحه بقدر البعد عن حس العربية وتمثل روحها، ومجال الجمال فيها) وعن كتاب المفتاح ومدرسة السكاكي نجده يجاهر بقوله: (ويجب أن نؤيد المدرسة الفنية، ونؤثل تلك الأبحاث الجديدة التي أشرت إليها من قبل، ونهجر المدرسة العلمية في دراسة البلاغة) ويخلص الخولي – محققًا– أن(معالم البحث البلاغي المقسمة على هذه الثلاثية لا تزال غير واضحة حتى القرن الخامس نفسه)، وينتهي الخولي إلى (ضرورة العدول عن هذه الثلاثية المصطلحية إلى مصطلح واحد جامع هو البلاغة.... [١].

من خلال ما سبق من نقد وجهه الخولي للسكاكي، نستطيع أن نخلص إلى أنه يجاهر بتوظيف قراءة القطيعة المعرفية، التي تعتبر الجديد وريثًا معرفيًا للقديم، والوريث لا يكون إلا بعد الوفاة، ومن ثمّ يعلن وفاة تراث السكاكي في قوله: ويجب أن نؤيد المدرسة الفنية، ونؤثل تلك الأبحاث الجديدة التي أشرت إليها من قبل، ونهجر المدرسة العلمية – مدرسة

(١) مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولى: دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٩٦١م، ص١٧٥.

السكاكي- في دراسة البلاغة. وقوله: ضرورة العدول عن هذه الثلاثية المصطلحية إلى مصطلح واحد جامع هو البلاغة.

وتجد مناداته بالإسقاط في قول: معالم البحث البلاغي المقسمة على هذه الثلاثية لا تزال غير واضحة حتى القرن الخامس نفسه. بمعنى أن الرواية والتواتر ضابط نقدي معتبر في الابداع.

وجدير بالذكر: أن نقد الشيخ محمد عبده وتلاميذه يختلف من حيث المقصد النهائي عن نقد الخولي: فالشيخ محمد عبده وتلاميذه نقدوا المفتاح ومدرسته واستبدلوا بها الأسرار والدلائل،.. وكلاهما ضمن دائرة تراث الإسلام والعربية.

أما الخولي ومن دار معه نقدوا مدرسة المفتاح، والبلاغة العربية بما فيها كلام عبدالقاهر ودعوا إلى الاستبدال بهما: بلاغة الفن المترجمة عن الايطالية. فـــ (عندما شرع الأستاذ أمين الخولي في عرض تصوره لموقف المحدثين وصورة البلاغة الأسلوبية عندهم، استقى مادته المباشرة من مؤلفين إيطاليين فحسب، أحدهما يسمى " لاباريني " في كتابه عن " الأسلوب الإيطالي" والثاني هو " لويجي فالماجي" في كتابه " عناصر الأسلوب والعروض") [1].

(١) مقدمة كتاب فن القول، أمين الخولي، بقلم د/ صلاح فضل، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٦م، ص ٩

ولذلك رفع أمين الخولى شعاره الشهير: "أول التجديد قتل القديم فهمًا وبحثًا ودراسة... (١).

فهذه بعض قراءات النقاد لكتاب مفتاح العلوم وكثير من مثل هذه العبارات والفقرات مبعثرة في مؤلفاتهم، وكأن ذلك سنة متواترة في تناول السكاكي، فالمتأخر من الباحثين يتخذ من كلام المتقدم عليه مسلمة، وكأن ما قاله الباحث المتقدم عن السكاكي من الأصول العلمية التي لا تقبل النقد،

ومن ثم لو جمعت ما كُتبَ عن السكاكي ونظرت فيه لرأيت أن هذه الكتابات ترجع إلى أصل واحد وما هي إلا تكرار وترداد لهذا الأصل، فكله كلام بعضه من بعض، ولو رجع هؤلاء المنتقدون الرافضون إلى السكاكي نفسه لاختلفت الرؤى، ولتعددت الآراء، ولوجدت اتفاقًا واختلافًا، ووجدت أعمالًا متمايزة متفقة ومختلفة ومؤتلفة.

(١) ينظر: أمين الخولي والأبعاد الفلسفية للتجديد، أعداد، د/ منى طريف ، مؤسسة هنداوي سنة ٢٠١٤م. وللاستزادة من شعارات الخولي راجع: مقال لعادل السنهورى ، بعنوان : دعوة لتدريس أفكار رواد التنوير فى الأزهر والمدارس والجامعات ..الشيخ أمين الخولى ابن ثورة ١٩.. جريدة اليوم السابع الإلكترونية بتاريخ، الخميس، ١٤ مايو ٢٠٢٠م، الرابط الآتي:

https://www.youm7.com/story/2020/5/14/%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%86%D9%87%D9%88%D8%B1%D9%89-%D9%8A%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%AF%D8%B9%D9%88%D8%A9-%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%B3-%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%88%D9%8A%D8%B1-%D9%81%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B2%D9%87%D8%B1/4774423 .

وتوضيح ذلك في النقاط الآتية:

الأولى:

لم تكن ثلاثية المعاني والبيان والبديع عند السكاكي إطلاقًا، والثلاثية التي تحدث عنها السكاكي كانت في البداية ثنائية الصرف، والنحو؛ لأن (أساس هذا التقسيم النظر في المفرد والمركب: والصرف ينظر في المفرد، والنحو ينظر في المركب، غير أن المؤلف سرعان ما رأى أن علمي المعاني والبيان المتممين – في تصوره الأولي– لعلم النحو جديران بأن يفردا بمبحث خاص مستقل إلى جانب الصرف والنحو، فانزاح عن التقسيم الثنائي إلى تقسيم ثلاثي بانيا كتابه من ثلاثة أقسام)[١] فقال:(وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان) [٢]

أما ثلاثية المعاني والبيان والبديع، فلم تكن عند السكاكي إطلاقًا فأتت قراءتهم على خلاف مقصود الإمام ومراده من كتابه.

الثانية:

إن ثلاثية المعاني والبيان والبديع ليست معتبرة عند السكاكي؛ لأن السكاكي كان يرى علم البيان شعبة من المعاني، وليس علمًا مستقلًا قائمًا بذاته، وهذا أيضًا أمر مهم جدًا، مما يعنى أن فلسفة السكاكي في التقسيم مخالفة لما نسب إليه من المخالفين له ، يقول: (ولما كان علم البيان شعبة

(١) البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. محمد العمري، أفريقيا الشرق ١٩٩٩م، ص ٤٨١.

(٢) مفتاح العلوم، ص:٧.

من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لا جرم آثرنا تأخيره) [١]

وجعل علم البيان شعبة من المعاني، أمر متداول في الدراسات النقدية، حتى من بعد الإمام السكاكي، وقد أكده الإمام السبكي في عروس الأفراح عندما قال: (إن علم البيان باب من أبواب علم المعاني، وفصل من فصوله، وإنما أفرد كما يُفرد علم الفرائض عن الفقه) [٢]

فانظر إلى صلة علم الفقه بعلم الفرائض تجدهما علمًا واحدًا، وإنما أفردا من باب إفراد الجزء عن الكل. لكنَّ الخالفين للإمام السكاكي أفردوا علم البيان عن علم المعاني، وجعلوه ضلعًا مستقلًا، وخلقوا ثلاثية أخرى، هذه الثلاثية هي المأخوذ بها، في تدريس البلاغة، في الجامعات والمعاهد العلمية، لكن ليست هي المؤسسة لمفتاح العلوم، بل هي التي اختزلت مفتاح العلوم ومنجز السكاكي. وأخرجته من مقصوده ومراده من تأليفه.

الثالثة:

مما هو مؤكد أن الإمام السكاكي لم يجعل علم البديع علمًا قائمًا بذاته، ولم يسبغ عليه هذا اللقب، بل سماه وجوهًا مخصوصة كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، ولم يضع له قسمًا ولا فصلًا ولا عنوانًا منفصلًا، إلا أنه ذيل حديثه عن علمي المعاني والبيان بعبارة يقول فيها: (وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين

---

(١) مفتاح العلوم، ص: ١٦٢.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي. ط: المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م ، ص: ١٥٦

ويرقيه أعلى درجات التحسين، فها هنا وجوه مخصوصة كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى وقسم يرجع على اللفظ)[1]

فهذا النص يشير إلى أن البديع يختلف عن المعاني والبيان عند السكاكي، وأنه ليس داخلًا تحت لواء أحدهما، وفي هذا إشارة إلى أنه علم متميز ومختلف وإن لم يصل به إلى درجة البيان والبديع، وهذا ما حدى بالخالفين بعده إلى عده علمًا مستقلًا.

وترك أنوعًا أخرى من المحسنات رأى أنها لا قيمة لها، يقول (ويورد الأصحاب ها هنا أنواعًا مثل كون الحروف منقوطة أو غير منقوطة أو البعض منقوطًا والبعض غير منقوط بالسوية، فلك أن تستخرج من هذا القبيل ما شئت وتلقب كلًا من ذلك بما أحببت)[2]

خلاصة ذلك: أن القراءة الجزئية للمفتاح عدته في علوم البلاغة الثلاثة المعاني – والبيان– والبديع وهذا لم يكن موجودًا في كتاب المفتاح على الإطلاق، وعلى خلاف مراد الإمام من كتابه، فهو يعد الجزء الثالث من كتابه تحت علم المعاني، ويتفرع من المعاني، البيان، والبديع جاء عرضًا.

(١) مفتاح العلوم، ص:٤٢٣.

(٢) مفتاح العلوم، ص: ٤٣٢.

المطلب الثاني:

القراءة الكلية للمفتاح

ظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين، كتابات تلقت مفتاح العلوم للإمام السكاكي، على غير ما هو معهود عنه في المؤلفات النقدية، من وصفه بأنه أغلق وأفسد وأقفل وما إلى آخره.

ومن ثمَّ كان السكاكي عند هؤلاء المتلقين، موضع إنصاف وقبول، ومصنفه أتي في منظومة كلية، ومشروع نقدي، وأنه: (لم يحاول أن يجعل مفتاح العلوم كتابًا في فن واحد، وهو فن البلاغة كما شاع عنه عند أغلب الباحثين، بل نلحظ أنه جعله عرضًا لعلوم العربية، وهي الصرف والنحو والمعاني والبيان والمحسنات اللفظية والمعنوية والاستدلال والعروض والقافية)

وقد كان موقف هؤلاء النقاد المنصفين للإمام مما وجه إلى مصنفه من سهام، وهذه الهجمة على مدرسته العلمية، مرجعها عدم وقوف الخالفين له على مقصوده من مشروعه العلمي، ومراده من تأليف مصنفه، ومن ثمَّ كانت النتائج التي حمَّلت المفتاح سبب الإغلاق والإفساد وما إلى آخره، عند التحقيق والتمحيص، بعيدة عن المصرح به.

والخالفين للإمام السكاكي على شقين:

الأول: من خلف السكاكي من علماء البلاغة الذين قاموا بتلخيص المفتاح وشرحه. فهؤلاء هم الذين قرأوا المفتاح قراءة جزئية وحادوا به عن سبيله ومراده.

الثاني: أصحاب المدرسة الحديثة والتي بدأت بالشيخ محمد عبده ومن جاء بعده فهؤلاء أخذوا السكاكي بجريرة من جاء بعده ممن شرح المفتاح واقتصر على دراسته دراسة جزئية، ولم يقرأوا المفتاح ذاته قراءة كلية ليتعرفوا على نظرته النقدية المتمثلة في الاهتمام بالتركيب من جميع جوانبه بداية من الصوت الذي تتركب منه الكلمة ومرورًا بالصيغة الصرفية والتركيب النحوي وانتهاءًا بما يتعلق بأحوال التركيب مما يقتضيه المقام من حذف أو تقديم أو استعمال للفظ في غير حقيقته من مباحث علم المعاني والبيان ثم تأتي في النهاية تلك المحسنات التي تدخل على اللفظ والتركيب فتزيد في حسنه وبهائه .

ويأتي هذا المطلب من قبيل أن ممارسة مصطلح نقد النقد ليس مقصورًا، على نقد كلام المتلقين وتعريته بالحجج والبراهين، بل قد يكون توافقًا مع كلامهم وتأكيدًا له واستنباطًا من كلام العلماء ما تتم به الفائدة، يقول د " عبد الملك مرتاض ضابط مفهوم نقد النقد هو(شكل معرفي مكمل للنقد، ومهدئ من طوره، وضابط لمساراته...، ليس بالضرورة أن يكون اختلافًا مع المنقودين، ولكن من الأمثل أن يكون إضاءة لأفكارهم)[1].

ويعد رائد هذا الاتجاه د/ سعد مصلوح. وسار على نهجه كل من د/ محمد العمري، د/ أحمد المتوكل، وهؤلاء جميعًا عدوا مفتاح العلوم في (علم الأدب) وتوضيح ذلك في المحاور الآتية:

(١) في نظرية النقد(دراسة لأهم النظريات النقدية وإحصائها)، عبدالملك مرتاض، ص ٢٥٣.

المحـــور الأول: مشروع الإمام السكاكي فـي علـم الأدب.

لا توجد أي اشارة في مفتاح العلوم، تفيد أن الامام الســكاكي يضــع مصنفه في علوم البلاغة الثلاثة، فهو لم يذكر كلمة البلاغة في المفتاح على الإطلاق، هو ذكر مصطلح البلاغة لكن لم يسمها بعلم، ولم يضع له حــدودًا تفصلها عن علوم العربية.

بل إن الذي سماه بعلم وصرح به في أكثر من موضع من كتابه هــو (علم الأدب) ومن ثمَّ كان مفتاح العلوم من الكتب التي لم تفهم على الوجــه الذي كان ينبغي أن تفهم عليه، لماذا؟ لأن موضــوع المفتــاح لــيس علــم البلاغة ــ كما هو معهود في المصنفات النقدية والبلاغية الحديثة ــ بل علم الأدب وهذا منظور يختلف كل الاختلاف.

يقول الإمام السكاكي مؤكدًا ذلك: (وقد ضمنت كتابي هذا من أنــواع الأدب دون نوع اللغة) [١] فهذا كلام لا يحتاج إلى أدنى تأويل، في بيان مراد الإمام من كتابه.

والمقصود بقوله (دون نوع اللغة) يعني دون نوع متن اللغة كالمعاجم وغيرها وهذه مادة الفعل الأدبي وليست العلوم أو المسالك التي بها يكــون متن اللغة أدبًا.

وعلم الأدب هنا ليس المقصود به تاريخ الأدب، وإنما أنــواع العلــوم التي يحتاجها دارس نصوص الأدب؛ لأن كل علوم العربية من علوم الآلــة الخادمة، لتذوق وتحليل النصوص، تمهيدا لخدمة النص المعجــز، القــرآن الكريم.

---

(١) مفتاح العلوم ص: ٦.

ويضع الإمام السكاكي، الضوابط المنهجية، لهذه المنظومة التي يسميها علم الأدب فيقول:(وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه، وهي عدة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصرف بتمامه وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع على أنواعه الثلاثة، وقد كشفت عنها القناع. وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان، ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر، ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بداً من التسمح بهما، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفًا على ممارسة باب النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ثنيت عنان القلم على إيرادهما، وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك، ومهدت لكل من ذلك أصولًا لائقة، وأوردت حججًا مناسبة) [١]

واضح من خلال النص السابق أن الإمام السكاكي يضع المقاييس النقدية، لمنظومته العلمية، وقد أحسن اختصارها من أئمة العلوم السابقين، ويمكن للباحث أن يصنفها في ظاهرتين:

الظاهرة الأولى: بناء هذه المنظومة على ظاهرة: (التآخذ): في قوله (وهي عدة أنواع متآخذة)، عن مباحث العربية من أصوات وصرف ونحو ومعاني وبيان، مما جعل د/ سعد مصلوح يذهب إلى أن نوع الأدب عند (السكاكي ظاهرة مركبة، ولذلك ينبغي أن يكون العلم الناظر فيها، وهو علم الأدب علمًا يقوم على تعدد الاختصاص)[٢]

---

(١) مفتاح العلوم ص: ٦.

(٢) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة المؤلف: د سعد عبد العزيز مصلوح الناشر: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،٢٠٠٣م، ص: ٥٧

ومن ثَّم كان المبحث الصرفي، ومبحث النحو، ومبحث علم المعاني والبيان، كلها مباحث تؤدي وظيفتها داخل المنظومة، بحيث لو أفرد أي علم منها على حده، اختل في تأدية وظيفته، وذلك لأن السكاكي لم يضبط الصرف كعلم للمشتغلين به، ولم يضبط النحو كعلم للمشتغلين به، ولم يضبط مبحث المعاني والبيان كعلم للمشتغلين به، وإنما جعل هذه العلوم يكمل بعضها بعضًا، الأمر الذي جعل د سعد مصلوح يرى أن علم الأدب في نظرية الإمام السكاكي قد (صار منظومة منهجية تتوالى عناصرها المكونة لها في علاقة منهجية حتمية، لا يتم الدرس الصحيح لنوع الأدب إلا بتضافرها واجتماعها، لا على سبيل التجاوز والاختيار، بل على سبيل الترابط والتتابع الحتمي) [١]

وما يقوي ذلك ويعضده موقف علماء النحو والصرف والاشتقاق حيث لم يلتفتوا إلى ما فيه من مباحث نحوية وصرفية، وكأنهم أدركوا أن دراسة هذه المباحث لم تكن مقصودة لذاتها، بل رأوا أنها جاءت لتمثل حجرًا في بناء فكري متكامل فقالو بلسان الحال: (هذه بضاعة مزجاة ونحن لنا فيها القدح المعُلا ولسنا بحاجة إلى السكاكي فيها، ومن هنا لووا رؤوسهم عما أنتجه السكاكي من قضايا نحوية وصرفية وقضايا تتعلق بعلم الاشتقاق)[٢]

في حين أن النحو الذي تناوله السكاكي تناوله بعبقرية عجيبة جدا .

هو لخص النحو في ثلاثة مصطلحات الفاعل والقابل والأثر.

والفاعل والقابل والأثر هي المفاهيم الثلاثة الجامعة.

---

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ٥٦

(٢) موقف الدكتور شوقي ضيف من المنجز البلاغي للإمام السكاكي دارسة في نقد النقد للباحث د/ محمد عبد الفتاح النجار، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود العدد الخامس والثلاثون، الإصدار الثاني.... أكتوبر ٢٠٢٢/١٤٤٤م، ص٢٢١٠.

الفاعل بمعنى العامل بوجه عام .

القابل بمعنى المعمول بوجه عام .

الأثر: الأثر الأعرابي الذي يظهر على الكلمات.

واستطاع أن يرد النحو كله إلى هذه المصطلحات الثلاثة..[١] .

نعم هذه المصطلحات موجودة عند المتقدمين بشكل ما لكن هذا الجمع وهذا الإحكام وهذا الضبط هو الهاجس الأساس للإمام السكاكي، لم نجده عند علماء النحو .

حقيقة الأمر أن المبحث الصرفي، والنحوي، ومبحث علم الاشتقاق، كان ينبغي أن ينظر إليها في سياق أنها: (بنية منهجية في مفتاح العلوم غير قابلة للتجزئة تعمل فيهًا علوم اللغة جميعا متضافرة في منظومة معرفية متكاملة يكمل فيها الأخير الأوّل، ويستدعي فيها كل علم ما لا يتمّ إلاّ به)[٢]

وأن الدرس الصحيح لنوع الأدب لا يتم الا بالتزود من هذه الضوابط التي قدمها الأمام للمتلقين.

الثاني: **ظاهرة الهرمية** في قوله: فأودعته علم الصرف بتمامه، وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع على أنواعه الثلاثة، وقد كشفت عنها القناع. وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان.

مما يعنى أن العلاقة بين المكونات المساهمة في بناء منظومته في علم الأدب تمتاز بخاصية الهرمية:(إذ يكفي أن نتتبّع طريقة التّشجير الفرفوري

---

(١) ينظر: مفتاح العلوم ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) قضايا التداولية في كتاب مفتاح العلوم للسكاكى (ت.٦٢٦هـ) بادس لهويل، الناشر: جامعة أحمد دراية أدرار– مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ع٩عام ٢٠٢٦م : ١٤١

التي أقام عليها السّكّاكيّ كلّ المصنف، حتّى نحصل على برنامج رقميّ يهتمّ بكلّ ما يتعلّق باللّسان صوتًا وصرفًا واشتقاقًا وإعرابًا ودلالة وبيانًا واستدلالًا. وهو ما لا يتسنّى إنجازه مع مصنّفات نحويّة أخرى كالكتاب أو المقتضب أو الأصول. وقد لا تكون هذه الملاحظة غريبة إذا أخذنا بعين الاعتبار شخصيّة السّكّاكيّ العلميّة)[١]

وفي النقد الحديث تجد معظم المصطلحات النقدية الممارسة للأدب تقوم على هذه الثنائية، الممثلة في حاجة العلوم بعضها إلى بعض، وبناء بعضها على البعض الآخر مثل ممارسة التناص، والشعرية، والتداولية، فكل هذه الظواهر تستنبط، من ربط العلوم بعضها ببعض، وهذا الخط الرابط بينها في (تنظيم هرمي، حيث تتضمن الوحدة الكبرى الوحدات الصغرى تحتها. وهذه البنية ليست مجرد تسلسل خطي للعلوم، بل تشكل تنظيمًا هرميًّا. .....فالقول بأكمله يشرف على سلسلة من المركبات الجزئية والتي تشرف بدورها على المركبات الكلية وهكذا....[٢]

(١) العنوان: ملامح الوظيفة في مفتاح العلوم للسكاكي١٠٣

(٢) الكلمة الصواتية والهرمية التطريزية أحمد البايبي، مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون٢٠١٩ ص٧١-٧٣

المحور الثاني : تعدد الاختصاص في بناء الظاهرة الأدبية.

إن علوم الثقافة الإسلامية جميعها نشأت في أصل واحد، وهو خدمة القرآن الكريم، وقد جمع لها أصولها، وحدد قواعدها، وكان مرجعًا لضبط معاقدها، ومع مرور الزمان، وتطور الحياة العلمية، اتسعت هذه العلوم في المنظومة ذات الأصل الواحد، حتى تفجرت إلى ينابع، ومن ثم إلى علوم متعددة، كل علم له أصوله وقواعده، لكن ظل هذا الترابط والتلاحم حاضرًا بينهما.

والإمام السكاكي، أسس ظاهرته الأدبية على هذا الوعي الثقافي، من أن علم الأدب واحد من هذه العلوم المؤسسة للمنظومة الثقافية الإسلامية، وأنه منبثق من أصل واحد هو خدمة القرآن الكريم وحفظه من التغيير أو التبديل، وأنه متشعب في علوم أخرى متعددة، لا يتم الدرس الصحيح لنوع الأدب إلا بتضافرها واجتماعها والأخذ بمعطياتها.

يقول الإمام السكاكي مجليًا ذلك: (انظر باب التحديد فإنه جزء منه في أيدي من هو، انظر باب الاستدلال فإنه جزء منه في أيدي من هو، بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ومن يتولاها، وتأمل في مودعات من مباني الإيمان ما ترى من تمناها سوى الذي تمناها، وعُد وعد ولكن الله جلت حكمته إذ وفق في تحريك القلم فيه، عسى أن يعطى القوس باريها بحول منه عز سلطانه وقوته، فما الحول والقوة إلا به) [1]

من خلال النص السابق تجد علم الأدب عند الإمام السكاكي قائمًا على تعدد الأنساق في بناء الظاهرة الأدبية، أو بحسب تعبير د سعد مصلوح: (إن

(١) مفتاح العلوم ، ص ٤٢٢.

نظريته التي وضع بها " علم الأدب " إنما تشكلت عنده عن قصد وبينة، وعن وعي بأن علم الأدب بدا وكأنه قتيل تفرق دمه في القبائل، أو أنه بأجزائه صار كطير إبراهيم عليه السلام، إذ جعل على كل جبل منهن جزءًا، وأنها تنتظر من يدعوهن ليأتينه سعيًا) (١)

فالظاهرة الأدبية حاضرة في علم الحد، ومساهمة في بنائه، وجزء من أبواب علم الاستدلال، ومتشعبة في ممارساته.

وفي هذا تنبيه إلى شيء مهم جدًّا وهو أن عماد الدرس النقدي المعاصر هي فكرة الخطابة والحجاج .... والحد والاستدلال هما عمد المتقدمين والمتأخرين في أمر الحجاج والخطابة، حتى في المعاجلة التداولية الآن.

وتجد الإمام يشير إلى شيء مهم جدًا ولافت للنظر، وهو حديثه عن أبواب أصول الفقه، وأن علم الأدب متشعب فيها، ومساهم في بنيتها.

ومن خلال النص السابق أيضًا تجد علم الأدب، في نظر الأمام السكاكي، لم تجمع معاقده، ولم توضع حدوده، وكأنه قد خشي أن يضيع منه جزء، أو أن يغفل المشتغل به مبحثًا، يقول مجليًا ذلك: (ثم مع ما – لهذا العلم – من الشرف الظاهر والفضل، لا ترى علما لقي من الضيم ما لقي، ولا مُني من سوم الخسف بما مُني، أين الذي مهد له قواعده؟ ورتب له شواهده؟ وبين له حدودًا يُرجع إليها؟ وعين له رسومًا يعرج عليها؟، ووضع له أصولًا وقوانين؟ وجمع له حججًا وبراهين؟، وشمر لضبط

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص: ٥٣

متفرقاته ذيله؟، واستنهض في استخلاصها من الأيدي رجله وخيله؟، علم تراه أيادي سبا، فجزء حوته الدبور، وجزء حوته الصبا)[1]

من خلال النص السابق تجد الإمام السكاكي يشير إلى شيء مهم جدًا وهو(ظاهرة المعرفة النقدية) التي سلكها النقاد في بناء مصنفاتهم قبل الإمام السكاكي، وهذه المعرفة، عبارة عن متفرقات ثقافية، تجتمع وتتضافر في تحليل الظاهرة الأدبية، إذ تجد الناقد يرصد الجانب النحوي، والصرفي، والدلالي، والبلاغي، والفني، في أثناء تفكيك النص والوقوف على مكتنزاته من الصياغة، دون تصنيف وتنظيم وتهذيب كل علم على حدة، هذه الظاهرة كانت هي الهاجس الذي جعل الإمام يجمع شتات الأدب ويقوم بتنظيمه وفق منهج معين.

يقول الإمام السكاكي مجليًا ذلك : ولما كان حال نوعنا هذا ما سمعت – يقصد أن علم الأدب لقي من الضيم ما لقي، ومُني من سوم الخسف ما مُني، فأين الذي مهد له قواعده؟ ورتب له شواهده؟ وبين له حدودًا يُرجع إليها؟.... وما إلى آخره – ورأيت أذكياء أهل زماني الفاضلين الكاملي الفضل قد طال إلحاحهم عليّ في أن أصنف لهم مختصرًا يحظيهم بأوفر حظ منه، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي، صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية، وسميته: مفتاح العلوم....[2]

---

(١) مفتاح العلوم ٤٢٢ .

(٢) مفتاح العلوم ٧ .

من خلال النص، تجد الكلمة الواحدة، التي اجتمع عليها ذوو العقول، الذين طال إلحاحهم على الإمام السكاكي، أن يصنف لهم مختصرًا يحظيهم بأوفر حظ منه، والنصوص التي ذكرها الإمام السكاكي، اتفقت على أن علم الأدب لم تجمع معاقده، بل هو متفرقات في علوم شتى، وهذا أمر من الخطورة بمكان، أن يحذف منه مبحث، أو يغفل الدراس منه جزءًا، ومن ثمَّ كانت هذه المنظومة المعرفية.

المطلب الثالث: ما مفتاح العلوم

إن ثمة منهجين في التعامل مع النصوص الإبداعية، قد سلكها علماء السلف، في الوقوف على مقصود المتكلم، ونقل الدلالة من حيز الخفاء إلى فضاء الظهور والوضوح.

الأول: منهج النقاد والنظرة الكلية للنص:

من ترابط الأبيات بعضها ببعض، وإبراز الوشائج التي تلحم كل بيت بما بعده وتربطه بما قبله.

وحازم القرطاجني، له فضل السبق في هذه النظرة الكلية للنصوص الإبداعية، يتجلى ذلك من خلال تناوله قصيدة أبي الطيب المتنبي التي يمدح فيها كافورًا الإخشيدي، يقول في مطلعها:(الطويل)

أغالب فيك الشوق، والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر، والوصل أعجب

حيث يقسم حازم القصيدة المذكورة آنفًا أقسامًا، ويسمى كلَّ قسم منها فصلًا، ويشير إلى وصل الفصول بعضها ببعض، واشترط أن يكون معنى كلِّ فصل تابعًا لمعنى سابقه، ومرتبطًا به، واعتنى حازم بما اصطلح عليه "التسويم" ، و" التحجيل"، فالتسويم هو العناية الشديدة بالبيت الأول من كلِّ فصل، وأما" التحجيل" فهو العناية الشديدة بآخر البيت من الفصل، أو من القصيدة.... [1].

وصنيع حازم كان موضع إعجاب النقاد المحدثين، كالدكتور صلاح فضل الذي اعتبر نموذج حازم (حالة فريدة لم تتكرر، وينبغي الإشارة إليها،

(١) تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني المتوفي ٦٨٤ه، د/ محمد محمد أبوموسى، ط: مكتبة وهبة٢٠١٨ م، ص: ١٧٤

والتنويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو حازم القرطاجني في تحليله لأجزاء القصيدة وتسميته لكل منها فصلًا، وتمييزه بين "المطلع" وهو البيت الأول منها، و"المقطع" وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الإشارة إلى وصل الفصول بعضها ببعض، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كلِّ فصل تابعًا لمعنى سابقه، ومنتسبًا إليه في الغرض، ويسمي ذلك تسمية اصطلاحية "الاطراد في تسويم رؤوس الفصول"، ويمضي في تطبيق هذه التصورات على قصيدة المتنبي: أغالب فيك الشوق والشوق أغلب، فيوردها كاملة، محللًا العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكونة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين)[١].

ويبدو أن النقاد قبل حازم نظرتهم الكلية انصبت على الجانب الإجرائي، لا التطبيقي، أما حازم فوظف الجانبين النظري والتطبيقي معًا في تحليل النصوص وهذا يحسب له.

المنهج الثاني: منهج التأويل(النظرة الكلية لاقتران الخطابات)

وقد سلكه الأصوليون، والمتكلمون، والمناطقة، والمشتغلون بعلوم القرآن الكريم، ويتجلى هذا المنهج من ربط العلوم الناظمة للثقافة الإسلامية، واعتبارها عند التأويل، فعلوم الحضارة الإسلامية، من أصوات ونحو وصرف ومعاني وبيان مترابطة ومتآخذة، يخدم بعضها بعضًا، ولا يستطيع

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: د/ صلاح فضل، الناشر: سلسة علم المعرفة- الكويت ع١٦٤، ١٩٩٢م، ص ٢٦٤.

المشتغل بعلم التأويل، الوقوف على مقصود الدلالة إلا بالأخذ بها واعتبارها جميعًا.

ذكر ذلك الإمام الغزالي ــ رحمه الله – وهو من المتكلمين– عند حديثه عن العلوم التي يجب أن يحيط بها المشتغل بعلم التأويل، فقال: (أحدهما: علم شرائط الحد والبرهان على الإطلاق. وثانيهما معرفةُ النحو واللغة والتصريف والبلاغة وعلم الأدب، لأن شرعنَا عربيٌّ فلا يمكنُ التوصلُ إليه إلا بفهم كلام العرب... [١]

ومن اعتبار علماء الكلام، لأهمية هذه العلوم في التأويل جعلوا للمؤول مستويات ومناصب معرفية، يحصل عليها حسب كفاءته، وتزوده من هذه العلوم والقدرة على استعمالها جميعًا في بناء خطابه الدلالي، يقول الرازي: (واعلم أن الإنسان كلما كان أكمل في هذه العلوم التي لا بد منها في الاجتهاد، كان منصبه في الاجتهاد أعلى وأتم).[٢]

ومنظومة الإمام السكاكي التي بين أيدينا، تقترب إلى حد كبير، بل تعد امتدادًا لضبط ممارسة التأويل عند المشتغلين به من عدة نواحي:

الأولى:

أن المشتغلين بالتأويل، جعلوا من سبل الاستنباط، اعتبار (التآخذ والبناء الهرمي) للعلوم المنظمة للخطاب المزمع تأويله، شرطًا أساسيًّا من شروط الوقوف على المعنى، ومقصود المتكلم.

---

(١) المحصول في علم الأصول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ. (٣:٣٠)

(٢) المحصول في علم الأصول، (٣:٣٠)

يقول الإمام الشاطبي مجليًا ذلك (إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فَالَّذِي يَكُونُ عَلَى بال من المستمع والمتفهم الالتفات إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ وَآخِرِهِ، بِحَسَبِ الْقَضِيَّةِ وَمَا اقْتَضَاهُ الْحَالُ فِيهَا، لَا يَنْظُرُ فِي أَوَّلِهَا دُونَ آخِرِهَا، وَلَا فِي آخِرِهَا دُونَ أَوَّلِهَا، فَإِنَّ الْقَضِيَّةَ وَإِنِ اشْتَمَلَتْ عَلَى جُمَلٍ؛ فَبَعْضُهَا مُتَعَلِّقٌ بِالْبَعْضِ؛ لِأَنَّهَا قَضِيَّةٌ وَاحِدَةٌ نَازِلَةٌ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَلَا مَحِيصَ لِلْمُتَفَهِّمِ عَنْ رَدِّ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِهِ، وَأَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ...[1].

فإشارة السلف هنا إلى الأول والأوسط والآخر، ما هي إلا ضرب من ضروب ربط الأشياء المتناثرة، وجمعها معًا في قلادة واحدة كلية. وهذا ما يتلاءم مع التآخذ والهرمية، التي ضبطها السكاكي.

وهذا لا يعني أن الإلمام بالنص من جميع جوانبه وعدم الاكتفاء بأجزاء منه هو السبيل الوحيد إلى فهمه، فهذا محور مهم، وهناك محور آخر لا يقل أهمية ، وهو أن يكون الناظر في النص ممتلكًا الأدوات التي يستطيع بها الاستنباط والوصول إلى فهم صحيح وهذه الأدوات تكمن في العلوم المختلفة من صرف ونحو ودلالة وبيان ومعاني وأسباب النزول وغيرها.

وتجد المناطقة قد ذكروا أن من أسباب الفساد في التأويل يعود إلى عدم ملاحظة وحدة القضية في استنباط المعاني، وعدم ضم النصوص بعضها

(١) ينظر: الموافقات، (٤/ ٢٦٦)

إلى بعض، وإبراز التعالق الواقع بينها، يقول ابن حزم في كتابه التقريب لحد المنطق :(ولا نأخذُ بعضَ الكلامِ دونَ بعضٍ فتَفسدَ المعاني)[1].

والمراد ببعض الكلام العلوم المنظمة للخطاب، كالاستئناس ، بعلم الشعر، وعلم السياق، أسباب النزول مثلًا ، والحد والاستدلال...

الثانية:

أن الإمام السكاكي قد جعل هذه العلوم تؤدي وظيفتها داخل المنظومة، من ترابطها بما قبلهما، والتحامها بما بعدها، فلو أفرد أي جزء منها اختلت قراءة المُستقبل له، ومن ثم اتسمت نتائجه بعدم التحقيق. هذا ما تجده بنصه، في ضبط عملية التأويل، وسبل استنباط المعاني منها، يقول الإمام الشاطبي عن المتلقي: (فإن فرق النظر في أجزاء – القضية موضع التأويل– ، فلا يتوصل المتلقي إلى مراد المتكلم، لذا فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض.....[2].

والمقصود بأجزاء الكلام ليس أول الخطاب أو آخره، كما يتوهم البعض، وإنما هي نظرة كلية تشمل الاستئناس بعلوم متعددة، كالشعر في تفسير الظاهرة، كما فعل ذلك سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – من فوق المنبر خاصة عندما أشكل عليه معنى "التخوّف" في قوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[النحل: ٤٧]

(١) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ابن حزم الأندلسي ، ت: إحسان عباس، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٠٠، ص١٤٥.

(٢) الموافقات، (٤/ ٢٦٦)

فقد سأل الحضور من أهل اللسان فأجابه شيخ من هذيل قائلا: هذه لغتنا، التخوف التنقص فقال عمر: وهل تعرف العرب ذلك في كلامها؟ قال: نعم. قال أبو كبير الهذلي[من البسيط]: يصف ناقة تنقّص السيرُ سنامها بعد تَمْكِهِ واكتنازه:

تَخَوَّفَ الرَّجُل منها تَامِكًا قَـرِدًا كما تَخَوَّف عُودَ النَّبْعَـةِ السَّـفَنُ[١]

فَقَالَ عُمَرُ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تَمَسَّكُوا بِدِيوَانِ شِعْرِكُمْ في جاهليتكم؛ فإن فيه تفسير كتابكم"[٢]

فهذا معنى النظر في أجزاء الكلام وربط بعضه ببعض، وكما هو واضح أن أجزاء الكلام هي الأجناس المنظمة للخطاب ولا يتم هتك حجب الدلالة الا بالاستئناس بها جميعًا.

الثالثة:

قد سبق أن المشتغلين بالتأويل، قد جعلوا لسلطة المعرفة درجات، أدنى ووسطى وعليا، وجعلوا للمجتهدين مناصب مرتبة ترتيبًا تصاعديًّا يصل إليها المجتهد حسب حذقه للعلوم التي لابد منها في التأويل، يقول الرازي:

---

(١) البيت في اللسان وبدل "الرجل"، "السير" وهي بمعنى واحد، وتمك السنام أي طال وارتفع، والقرد هو المتراكم بعضه فوق بعض من السِّمَن والنبعة نوع من الشجر يسمى (القسي) والسفن ما ينجر به الخشب، والمعنى أن السير نقص من سنام الناقة الطويل المتراكم .. كما ينقص عود القسي إذا برد بالحديد، انظر اللسان مادة "خوف، (٩/ ١٠١)

(٢) الموافقات، (١/ ٥٨) والاعتصام، (٢/ ٨١١) و طرق الكشف عن مقاصد الشارع، المؤلف: الدكتور نعمان جغيم، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ص ٨٤.

(واعلم أن الإنسان كلما كان أكمل في هذه العلوم التي لا بد منها في الاجتهاد، كان منصبه في الاجتهاد أعلى وأتم).[١]

تجد الإمام السكاكي، قد سار على هذا المنهج وجعل للمشتغلين بعلم الأدب مراتب ودرجات، مرتّبة تصاعديًّا من الأدني إلى الأعلى على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: وهي أدنى هذه المراتب وقد ذكرها الإمام السكاكي في قوله: (واعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الأوضاع وشيء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف التمام) [٢]

فهذه إشارة إلى المستوى الأول من الفهم والتلقي، وواضح أن هذا المستوى جلاه الإمام في معرفة شيء من المصطلحات والمفاهيم الأولية، التى تؤهل صاحبها، لتذوق النصوص، لا نظمها سواء كان ذلك إبداعًا أم تطبيقًا.

المرتبة الثانية: ويأتي من نتائج المستوى السابق، فمعاشرة النصوص والإنصات إليها يؤهل المتلقي إلى الغرض الأقدم من علم الأدب عند الإمام السكاكي وهو: (هو الاحتراز عن الخطأ في كلام العرب) [٣] وتحقيق هذه المرتبة تؤهل صاحبها لإنتاج الخطابات السليمة والحية،

---

(١) المحصول في علم الأصول (٣:٣٠)

(٢) مفتاح العلوم، ص٧.

(٣) مفتاح العلوم، ص٧.

بنوعيها الإبداعية ممثلة في الشعر والنثر، والتطبيقية ممثلة في نقد النصوص والوقوف على أسرارها ومكتنزاتها من الصياغة.

المرتبة الثالثة: وهي أعلى المراتب : وتأتى من نتائج سابقتيها، إذ إن نظم النصوص الإبداعية يؤهل المتلقي للقدرة على (الشغف بالتلقي لمراد الله ــ تعالى ــ من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[١] وهذا هو الهاجس الرئيس الذي جعل الإمام السكاكي يضع مصنفه.

فمنظومة الإمام السكاكي هي امتداد يتلاءم إلى حد كبير مع علم التأويل والضوابط التى وضعها المشتغلون به، ومن هنا نفهم معنى إشارة الإمام السكاكى إلى أن علم الأدب الذي يضع فيه مصنفه، متشعب في ممارسات علم أصول الفقه، وعلوم القرآن الكريم، حدد ذلك قوله: (بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي ومن يتولاها، وتأمل في مودعات من مباني الإيمان ما ترى من تمناها سوى الذي تمناها) [٢]

(١) مفتاح العلوم، ص٧.

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٤٢٢.

منظومة الإمام السكاكي والنقد الحديث.

قامت المعالجة البنيوية للنصوص، على منهج النظرة الفردية للجنس الأدبي، وعدم ملاحظات الأجناس الأخرى المساهمة في بنائه، حتى إنك تجد البنيويين يجاهرون بعدم ملاحظة السياق في عملية الاستنباط، الأمر الذي ترتب عليه فساد منهجهم ودعوتهم التى أصبحت فيما بعد مكانها الدرك الأسفل في المعالجة الإبداعية، وبناء على ذلك ظهرت دعوات (ما بعد الحداثة) التى لا تعترف بالحدود بين الأجناس، وعلى إثرها (ظهرت منهجية جديدة في مجال النقد الأدبي مع الناقد الفرنسي جان بول روسويبر (*Jean-Paul Resweber)[1]*)، وتسمى هذه المنهجية الجديدة بالمقاربة المتعددة التخصصات (*Une approche interdisciplinaire*..... [١]

يعنى أن علم الأدب قائم على تعدد الاختصاص، يشبه في بنائه شجرة الثقافة على حد تعبير الأستاذ مصطفى ناصف ... [٢]

والمقاربة المتعددة التخصصات التى بين أيدينا: (مقاربة منهجية مفتوحة تدرس الأدب، وذلك في ضوء مجموعة من العلوم والتخصصات المعرفية المتعددة والمتشعبة، بغية الحصول على الدلالة، وبناء المعنى. وبهذا، تكون هذه المنهجية مرنة، ومنفتحة، وموسوعية، تشترك في بنائها مجموعة من المناهج والتخصصات المتعددة. فليس ثمة نظرة ضيقة أحادية،

(١) نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة ، د/ جميل حمداوي،ص: ١٠٤

(٢) كتابة الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ: بقلم: صالح بن رمضان: رقم العدد: ٥١ تاريخ الإصدار:٠١ يونيو ٢٠٠٦ ص١٧٣.

ولا بعد منهجي واحد في التعامل مع القضية الأدبية أو الظاهرة الثقافية فهمًا وتفسيرًا.... (١)

وليس الأدب مجرد اختزال للنصوص الأدبية في بنى وأشكال من الخطاطات الهندسية والمعطيات الكمية والرقمية كما هو حال الدراسات البنيوية والسميائيات والشكلانية، بل لابد من التعامل مع النص الأدبي في ضوء مقاربات مختلفة من أجل استكشاف المعاني المتعددة المتوارية في النصوص، ولاسيما في النصوص الشعرية الرمزية، والنصوص الشعرية المجازية الاستعارية، والنصوص الصوفية، والنصوص الانزياحية.... (٢)

وعلم الأدب عند السكاكي ليس ببعيد عن هذه الشجرة الثقافية التى لها أصل واحد ثابت وفروعها يخدم بعضها البعض.

(١) نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة ، ص: ١٠٥.

(٢) ينظر: نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة ، ص: ١٠٨ وما بعدها.

المبحث الثاني:

تلقي التبويب والتهذيب

لمباحث ومسائل مفتاح العلوم

من المعلوم أن الامام السكاكي، هو أول من استوت عنده ظاهرة تقعيد علوم العربية، فقد قام بتصنيفها إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، والمطالب إلى جزئيات، حتى وصفت مدرسته بالمدرسة التعليمية.

هذا التقسيم والتبويب، كان موضع اهتمام وتجلٍّ في النقد القديم، حتى إنك تجد ابن خلدون يمجده في قوله: (ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئًا فشيئًا إلى أن محص السكاكي زبدته وهذب مسائله ورتب أبوابه ..... وألف كتابه المسمى بالمفتاح ....[1].

و حديث ابن خلدون هنا عن علم البيان عند السكاكي والضمير في (زبدته) و(مسائله) و(أبوابه) ترجع إلى علم البيان وليس إلى المفتاح كله، وانطلاقا من كون، تهذيب مسائل علم البيان وتمحيصها فيما ذكر ابن خلدون يمكن سحبه على باقي مباحث المفتاح.

ويبدو أن تمجيد ابن خلدون صنيع السكاكي، كونه يرى الأدب هو الأخذ من كل علم بطرف، والسكاكي في كتابه مفتاح العلوم ، جمع تسعة علوم، وقام بترتيبها ترتيبًا تصاعديًّا، وجعل نتائج كل علم، هي نقطة المنطلق للعلم الذي يليه، وهكذا تظل عنده العلوم المنظمة لعلم الأدب تدور في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرافها.

---

(١) ينظر: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون – ج ١ – ص ٥٥٢

ومن ثمَّ عكف المتقدمون على المفتاح ينهلون من معينه، ويغرفون من بحره، كل منهم ما يناسب توجهه (كما فعل ابن ابن مالك في كتابه المصباح، وجلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص .... [١].

فالمفتاح كان موضع تجل وتمجيد وقبول عند القدماء ، وقد اندهش د بدوي طبانة من هذا الالتفاف الذي سلكه النقاد القدماء حول السكاكي وكتابه فيقول في نص بالغ الأهمية:(ولسنا نعرف السحر العجيب الذي سحر العلماء بكتاب السكاكي فجعلهم ينسون أنفسهم ، وينكرون ملكاتهم، ليسيروا في ركاب السكاكي وفي فلك كتابه، فجعلوه القطب الذي يدورن من حوله، والغاية التي يبيمونها)[٢].

ونص الدكتور بدوي طبانة يحمل حقيقتين:

الأولى: موقف المتأخرين من السلف من تراث السكاكي، إذ إنهم نثروا كنانتهم، لمؤلفات السلف، فعجموا عيدانها، فإذا بالسكاكي أقدرهم، على ملائمة الجديد، ومجاراة كل حاضر، فتركوا ملكاتهم وترسموا خطى السكاكي شرحًا وتحقيقًا ووضعًا للحواشي.

الثانية: أن د/ بدوي طبانة لا يقصد من هذا مدح السكاكي ومَن خلَفَه، وإنما يأخذ على السلف سلوكهم طريق السكاكي، وانبهارهم لصنيعه حتى إنهم تركوا ملكاتهم وتنازلوا عن رؤاهم وحصروا أنفسهم ونتاجهم فيه.

---

(١) ينظر: ابن خلدون – ج ١ – ص٥٥٢

(٢) البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، د/ بدوي طبانة، ط مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٢٠٠

أما في العصر الحديث، فقد أرجع النقاد المعاصرون كل ما أصاب الذوق من فساد، والإبداع من إغلاق، إلى كتاب مفتاح العلوم وصاحبه الإمام السكاكي الذي جمد – في رأيهم – علوم البلاغة الثلاثة، فلا (تكاد تخلو دراسة أو كتابة لأحد من النقاد المحدثين أو أهل التجديد، من صفحات، يحمِّل فيها كاتبها مفتاح العلوم إصر ما أصاب الذوق من جمود وجفاف وعقم، حتى غدا هذا القول من البديهيات المسلمة، ومن ثمَّ لم يتردد بعض النقاد من المجاهرة بترك مدرسة الإمام السكاكي في دراسة علوم العربية ...[١].

ولقد كان ضبط الإمام السكاكي لهذا الفيض المعرفي من ثقافة العرب، أولى الركائز التي أستند عليها النقاد المحدثون، في نقد كتابه، والهجوم عليه، والمجاهرة بترك مدرسته العلمية.

يقول د بدوي طبانة في هذا السياق (الواقع أنه لم يفسد البلاغة العربية أو البيان العربي مثلُ تمحيصِ السكاكي وتهذيبه، وترتيبه الذي مجده به ابن خلدون) [٢].

ويقول في سياق آخر: (ويبدو أن جذوة النشاط التي اشتعلت في القرن الثالث، وتوهجت في القرون الثلاثة التالية، فألقت أشعتها على أكثر جهات الفن الأدبي، أصابها الخمود، الذي كان مظهره موت الملكات الفنية وقد كانت تجري في تناول البيان على أساس من الذوق الذي هذبته المعرفة، وتحول هذا التيار إلى وجهة لا تلتئم مع طبيعة هذا البيان، الذي دخل في طور جديد من التقسيم والتقنين والتعريف ومحاولة حصر المسائل، وهذا

(١) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ص: ٢٩

(٢) البيان العربي ص٢٠٠.

الاتجاه هو الذي باعد بين معنى البيان الشامل المتسع الأطراف، وبين أثره في إرهاف الحس وتنمية الملكات، وأصبح قواعد تحفظ ولا يقاس عليها، وفقدت البلاغة قدرتها على تذوق البلاغة، وتكوين البلغاء والنقاد، وإن استطاعت أن تكون طبقات من البلاغيين يقفز بعضها إثر بعض ، وهي في أكثر الأحيان صور حائلة لأصل مشوه. وصاحب هذتا الاثر هو السكاكي مؤلف مفتاح العلوم ، الذي عالج فيه البيان بعقلية أصح ما توصف به أنها عقلية ليست بيانية)[١].

فتمحيص السكاكي، وتهذيبه وترتيبه، هو فساد البلاغة وإغلاقها عند بدوي طبانة.

أما الدكتور شوقي ضيف، فتبدأ علاقته بالسكاكي، عندما جعل عصور البلاغة قسمين:

العصر الأول: عصر الازدهار. ويمثله عبد القاهر والزمخشري. الثاني: عصر التقعيد والجمود. ويمثله السكاكي. وفي حقبة السكاكي البحثية ذكر د/ شوقي ضيف، تحت عنوان دراسات جانبية، وقد رأى أنها مصنفات لم تسر على جفاف وجمود السكاكي، وذلك لأن أصحابها قد انحرفوا عن طريق السكاكي، أو ساورا فيها دون ترسمها دقيقًا،... ومن أهم هذه المصنفات: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير...

ثم يتلقى الدكتور شوقي ضيف مفتاح العلوم ، ويرمي السكاكي بالسهام، فيقول: (إن السكاكي قد جمع في بعض أبوابه دررًا وحصى كثيرًا،

(١) البيان العربي ص١٩٥

أما الدرر فجمعها من كتابات عبد القاهر والزمخشري، وأما الحصى فجمعه من كتب النحو واللغة....والمفتاح تلخيص أشاع فيه كثيرًا من العسر والالتواء، بسبب ما عمد إليه من وضع الحدود والأقسام المتشعبة) [1].

فوضع الحدود والأقسام المتشعبة، هو المتسبب في العسر والالتواء في مفتاح السكاكي.

نقد النقد

من خلال ما تم عرضه تجد كلمة هؤلاء النقاد السابقين اجتمعت، على اعتبار منهج السكاكي الممثل في الضبط والتهذيب والتقسيم والتفريع وتقعيد العلوم كان سببًا في قتل الإبداع، وتجفيف منابع الذوق، ولي عدة ملحوظات على ذلك:

الملحوظة الأولى:

لتذوق وتحليل النصوص نظرات ثلاث متكاملة، إحداها: نحو المبدع، ثانيها: نحو المتلقي، آخرها نحو بنية النص. ومذاهب الأدب ومدارس الألسنة غالبا ما تركز على عنصر واحد من هذه العناصر، دون صنويه وفي هذا نقص وخلل.

وبناء على ذلك أولى النقاد العرب القدماء المبدع بصفته منتجًا، والمتلقي بصفته مستهلكًا، عناية فائقة، حتى بتنا نرى النقاد المحدثين يطلقون على المدارس النقدية القديمة مسميات من قبيل (مدرسة مُخَاطِب) أو مدرسة (مُخِاطب)

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ، د/ شوقي ضيف: ط: دار المعارف، مصر الطبعة الثانية(ب د) ص ٢٩٦.

ويمكن للباحث تصنيف ذلك في النقاط الآتية.

الأولى: مدرسة الإمام عبد القاهر الجرجاني:

ويمثلها كتابا : (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة)، وقد سلك الإمام عبد القاهر في هذين المصنفين مسلكًا فنيًّا رائقًا، مستندًا إلى التحليل الخلاق، وكان هذا ناتجًا لممارسة تطبيقية مع النماذج الأدبية الراقية، إذ اعتمد على جمع الشواهد الشعرية الجاهلية وغيرها، وتحليلها تحليلًا فنيًّا يكشف عن مكتنزاتها من الصياغة، وأسرار نظمها. ومن ثم كانت مدرسة الإمام عبد القاهر مدرسة ناظم، أو مدرسة متكلم. تصب تركيزها على ما انتجه المتكلم، ووضع الضوابط النقدية له، وتوجيهه الوجهة النقدية السليمة، يقول الإمام عبد القاهر مجليًا ذلك: (وشبيهٌ بهذا التوهُّم منهم، أنك قد تَرى أحدَهم يَعْتَبِر حالَ السامع، فإذا رأى المعانيَ لا تترتب في نفسه إلاَّ بترتُّب الألفاظِ في سمعه، ظنَّ عندَ ذلك أن المعاني تبع للألفاظ، وأن الترتيب بها مكتَسبٌ مِن الألفاظِ، ومن ترتُّبها في نُطْق المتكلِّم.

وهذا ظنٌّ فاسدٌ ممَّنْ يظنُّه، فإنَّ الاعتبارَ يَنبغي أن يكونَ بحالِ الواضعِ للكلامِ والمؤلِّف له، والواجبُ أن يُنظرَ إلى حالِ المعاني معه لا مَعَ السامعِ، وإذا نظَرْنا علَمْنا ضرورةَ أنه محالٌ أنْ يكونَ الترتُّبُ فيها تبِعا لترتُّب الألفاظِ ومكتَسبا عنه، لأنَّ ذلك يقتضي أنْ تكونَ الألفاظُ سابقةً للمعاني، وأن تَقَع في نفْسِ الإنسان أولا، ثمَّ تقعُ المعاني مِنْ بَعْدها وتاليةً لها، بالعكْسِ ممَّا يَعْلَمُه كلُّ عاقلٍ؛ إذا هو لم يُؤخذ عن نَفْسه، ولم يُضْرَبْ حِجابٌ بينه وبينَ عَقْلِه. وليتَ شعري، هل كانتِ الألفاظُ إلاَّ مِن أجْل المعاني؟ وهل هي إلاَّ خَدمٌ لها، ومُصرَّفَةٌ على حكمها؟ أوَ ليستْ هي سمات لها، وأوضاعًا قد وضعت لتدل عليها؟ فكيفَ يُتصوَّرُ أن تَسْبِقَ المعانيَ وأن تتقَدَّمَها في تَصَوُّرِ النفسِ؟ إنْ

جازَ ذلك، جازَ أن تكون أسامي الأشياءِ قد وُضِعَتْ قبْل أن عرفتْ الأشياء، وقيلَ أنْ كانتْ. وما أدري ما أقولُ في شيءٍ يجرُّ الذاهبينَ إليه إلى أشباهِ هذا من فنونِ المحال، وردئ الأقوال.)[1].

نعم لم يهمل الإمام عبد القاهر المتلقي وانما كانت عنايته أكثر بالمتكلم، حتى إن بعض الباحثين ذهب إلى اعتبار مدرسته مدرسة متكلم.

الثانية: مدرسة حازم القرطاجني:

ويمثلها كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) وجعل حازم جل تركيزه على البواعث المثيرة لقول الشعر، حتى إنك تجد حازمًا يحدثك عن الباعث على القريض، والباعث على الغرض الشعري، والباعث على الوزن العروضي. فحازم يتكلم عن بواعث الشعر لا عن أسرار الشعر.

فالنقاد جميعهم ينطلقون من النص بعد نظمه، وحازم يبدأ من قبل النص.

يتجلى ذلك بوضوح في افتتاحه المنهاج الأول من كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) وتحديده في (الإبانة عن ماهيات المعاني وأنحاء وجودها ومواقعها، والتعريف بضروب هيئاتها وجهات التصرف فيها وما تعتبر به أحوالها في جميع ذلك، من حيث تكون ملاءمة للنفوس أو منافرة لها)[2].

ويتناول حازم في هذا المنهاج، جذر المعنى، ويحدد جهته، وجذر المعنى على حد قوله، المنبع الذي تدفق منه المعاني، أو المناجم التي تستخرج منها المعاني، وحازم يعرف المعاني ويرتب وجودها في الأعيان؛ أي ما يشاهد بالعين، ويعقل بالعقل، ثم في الأذهان؛ وهي الصورة الحاصلة

---

(١) دلائل الإعجاز ٢٢٩.

(٢) منهاج البلغاء ص ٩.

في الذهن؛ من مشاهدة شيء أو سماعه؛ فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، ثم في اللفظ يعنى اللغة مترجمة عن مكنون النفس، فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم، ثم في الخط.(١).

الثالثة: مدرسة السكاكي ويمثلها كتابه مفتاح العلوم .

ويظهر من خلال المفتاح أن حاجة عصر الإمام السكاكي هي التي دعته أن يؤلف لهم كتابًا يتعلق بالمُخَاطب يقول الإمام (ولما كان حال نوعنا هذا ما سمعت، ورأيت أذكياء أهل زماني الفاضلين الكاملي الفضل قد طال إلحاحهم عليّ في أن أصنف لهم مختصرًا يحظيهم بأوفر حظ منه وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي صنفت هذا ..... وسميته: مفتاح العلوم...(٢).

ومن ثم كان من الطبعي أن يقسم ويبوب فترتيب الإمام السكاكي وتهذيبه وتنقيحه، لأنه يكتب للمُخَاطب (المستمع) والمستمع لابد له من التقسيم والتهذيب حتى يقف على العلوم، هذا وقد ضمن الإمام لمن يتلقى كتابه ويهضمه ينفتح عليه جميع المطالب العلمية، فقال (.... صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية، وسميته: مفتاح العلوم(٣).

---

(١) منهاج البلغاء ص ١٨.

(٢) مفتاح العلوم ٧.

(٣) مفتاح العلوم ٧.

يقول د/ محمد أبو موسى في هذا السياق ((ثم جاءت المرحلة الثالثة وصاحبها أبو يعقوب يوسف السكاكي. وقد وضع بصمته على هذا العلم، ولا تزال هذه الإصبع أو هذه البصمة ضابطة لكل المشتغلين به، ولا نزال نخطِّئُ ونحاسب على خطئنا إذا تجاوزنا حدًا من الحدود، وضابطًا من الضوابط التي وضعها هذا العبقري النادر، والذي أساء إليه المتكلمون في العلم – أي من المحدثين – وهم متكئون على أرائكهم، ولو سكتوا لاستراح الناس)[1].

ثانيا: هناك فرق بين المعرفة والعلم .

من خلال النقد القديم نستطيع أن نخلص إلى ما يمكن تسميته بالمعرفة النقدية، القائمة على الذوق، والفطرة، والسليقة اللغوية التي تمتع بها العرب الخلص الأوائل.

وقد رأينا ذلك بجلاء في اللمحات النقدية الأولى. خاصة ما وقع من طرفة ابن العبد لنقد المسيب، وانحياز أم جندب لعلقمة الفحل، وتقييم ربيعة بن حزارى الأسدي للشعراء.

فكانت اللمحة النقدية السائدة في هذه النماذج مبنية على المعرفة بأمور تتعلق بصناعة الشعر وبنائه، فإذا ما اختل جزء من المنظومة البنائية الشعرية أشار إليها الناقد. (والمتابع للدرس النقدي القديم يدرك قيامه على أساس من الخبرات الدقيقة، والمعرفة الصحيحة بكل مفرداته، وكل هذا كان ناتجًا لممارسة تطبيقية مع النماذج الأدبية الراقية، بحيث أفرزت التطبيقات كمًّا هائلًا من المواصفات الجيدة وغير الجيدة ، أمكن جمعها في محاور كلية، وأمكن إخضاعها لمجموعة من التقاليد الثابتة أحيانًا والمتغيرة أحيانًا

(١) المسكوت عنه في التراث د/ أبو موسى ص١٠٣.

أخرى، وهذا الثبات أو التغير محكوم بمجموعة القوانين التحويلية التي كشفها النقاد من ممارستهم الفعلية للخطاب الأدبي عمومًا، والخطاب القرآني على وجه الخصوص) [١].

أما التعليم: فهو تقعيد وتهذيب وتصنيف لهذه المعرفة، وسبكها في قوالب علمية، لتلبية حاجة، من قلت عنده ملكة المعرفة (ولا شك – إذن– أن الجهد النقدي قد بدأ حركته من منطقة المعرفة الكلية، التي تضم ما هو علمي وما هو غير علمي، لكن المعرفة وحدها لا تمثل علمًا بالمعنى الصحيح، وإنما تتحول إلى العلمية تبعًا لأسلوب التفكير، ومنهجية البحث، ودقة رصد الظواهر والكشف عن أبعادها التي تفسرها، وكل ذلك يتيح أن تتحول المعرفة إلى علم)[٢].

والنقد قبل السكاكي كان يصب في قالب معرفي كلى، فتجد الناقد يفكك الشاهد الشعري ويميز جيده من رديئه هذا ما يتعلق بالجانب النحوي، وهذا ما يتعلق بالجانب الصرفي، وهذا ما يتعلق بالجانب الفني وهكذا. أما السكاكي فقد طبق في النقد الجانب العلمي المنظم القائم على وضع كل علم في مكانه، بدلا من هذه البعثرة النقدية.

وقد لحظ الإمام السكاكي هذا الفيض المعرفي من مخزون الثقافة العربية، الذي لم تضبط معاقده، بمعنى أنه لم يضبط في أبواب، ولم تتحدد الأبواب في مسائل، ولو اتفق أن سقط منه باب وهو على الحالة التي هي عليها ربما لم يلتفت إلى ما سقط. والأصل أن يكون مضبوطا ضبطا يمنع أن

---

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى: د/ محمد عبدالمطلب الشركة المصرية العالمية لونجمان ١٩٩٧ص ٢.

(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى: د/ محمد عبدالمطلب المقدمة ص٢.

ينقص باب أو بحث أو يزداد فيه باب أو بحث. فحدد رسالته مع هذا العلم من أول الأمر وبين مجهوده فيه هو الذي تتطلبه حالته هذه المرسلة. وهو ضبط معاقد هذا العلم.(١).

فالسكاكي بترتيبه وتبويبه ورسمه للحدود استطاع تحويل المعرفة إلى علم، له ضوابطه ومباحثه، ومقايس.

وإذا كان السكاكي قد حول الفيض النقدي من المعرفة إلى العلم الذي له قواعد وأصول ومقاييس وحدود مقسمة تقسيمًا علميًّا منهجيًا له فإن هذا التحويل كان لغاية وهذه الغاية هي أن يربي في المتعلم ملكة المعرفة التي يستطيع بها أن يميز الجيد من الرديء من الكلام أي أن يربي في المتعلم ملكة النقد والتذوق، وهذه القواعد لا تكفي وحدها في الوصول إلى هذه الغاية إن لم تكن مشفوعة بدراسات تطبيقية وأعمال تحليلية يستطيع من خلالها المتعلم أن يحول النظري إلى عملي وأن يرى أثر القاعدة التي درسها في النص المنتج، ولا شك أن الدرس بعد السكاكي خلا أو كاد أن يخلو من مثل هذه الدراسات واكتفى العلماء من بعده باختصار أجزاء من المفتاح أو إيضاحها وشرحها ووضح التقارير والحواشي عليها.

ثالثاً: العشوائية أم النظام؟

إن ظاهرة تقعيد العلوم وتصنيفها، كانت موضع فخر واعتزاز عند العلماء الأقدمين، حتى تجد الإمام الفخر الرازي في تلخيصه كتابي عبد القاهر الجرجاني،: الدلائل والأسرار، يفتخر ويتباهى حتى يصل به الأمر ليوازن بين كتابه وكتابي الإمام عبد القاهر، ويرى أن ما قدمه في كتابه

(١) المسكوت عنه في التراث د/ أبو موسى ص١٠٤.

نهاية الإيجاز أفضل لطلاب العلم مما خلَّفه الإمام عبد القاهر فيقول: (لكنه – رحمه الله – لكونه مستخرجًا لأصول هذا العلم وأقسامه وشرائطه وأحكامه، أهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب، وأطنب في الكلام كل الإطناب، ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين التقطت منهما معاقد فوائدهما، ومقاصد فرائدهما، وراعيت الترتيب مع التهذيب، والتحرير مع التقرير، وضبطت أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية ، مع الاجتناب عن الإطناب الممل والاحتراز عن الخطأ المخل) [١].

وفوق كل ذلك أن هذا الصنيع الذي قدمه السكاكي كان ينبغي أن يحسب له لا أن يأخذ عليه ولا يذم ويعاب، وإلا (فهل العشوائية تمتدح، والنظام يعاب؟ وهل الاعتباطية في البحث تعد أصلًا والتنظيم المبَّرر يصير تعقيدًا وجمودًا؟)[٢].

ولذلك كان التبويب والتقعيد وجمع فيض العلم وتنظيمه محسوبًا للسكاكي.

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي ص٥.

(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى: د/ محمد عبدالمطلب المقدمة ص٢

الخاتمة

توصل البحث إلى عدة نتائج كان من أبرزها:

١. قراءة الاسقاط والقطيعة المعرفية قال بها النقاد الغرب، لكنهم لم يأخذوا بها، ولم يطبقوها في ممارستهم العملية للنصوص، فأرسطو كان – وما زال– موضع حضور ومشاركة في ضبط عملياتهم التأويلية، والدرس النقدي في العقدين الآخرين عندهم كله قائم على فكرة الحجاج التي أساسها الحد والاستدلال.

٢. عند النظر إلى عنوان كتاب السكاكي نجد أنه جعله مفتاحًا للعلوم المختلفة التي يحتاج إليها الأديب والبليغ، فمن أراد أن يكون أديبًا بليغًا لا بد أن يمتلك هذه المفاتيح، ولا شك أن المفتاح يختلف عن الباب الذي يفتح به والبيت الذي يولج فيه عن طريق هذا الباب، فبيت الأدب المتمثل في النصوص المختلفة لا يولج إلا بهذه المفاتيح، التي ذكرها السكاكي في كتابه، وامتلاك هذه المفاتيح لا يكفي إلا إذا تدرب الأديب البليغ على استعمالها في نصوص مختلفة، فدراسة قوانين البناء وحدها لا تنتج بنَّاءً ماهرًا، والنظر في كتب الطب وحدها لا تقدم طبيبًا ماهرًا.

٣. القراءة الجزئية للمفتاح مارست ما يعرف بقراءة الإسقاط في نقدها للسكاكي، وكذلك جاهرت بالمناداة بفكرة القطيعة المعرفية في الإفادة من تراثه.

٤. كانت الغمزات التي رمى بها الشيخ محمد عبده تراث السكاكي ، لها صدى كبير على تلاميذه من بعده، فلم ينظروا إلى السكاكي ومدرسته إلا أنها جزئية أغلقت، وجففت، وما إلى آخره .

٥. المناداة بترك مدرسة السكاكي العلمية من حيث المقصد، كانت ذات شقين. **الأول**: تلاميذ الشيخ محمد عبده ونادوا بهجرها مع استبدال الدلائل والاعجاز بديلًا عنها، الثاني: أمين الخولى الذي جاهر بتوظيف الممارسة النقدية الايطالية كمظهر للتجديد بدلًا من السكاكي وتجربته في معالجة النصوص.

٦. القراءة الكلية للمفتاح جعلت مشروع السكاكي النقدي في علم الأدب والبلاغة ضلع من أضلاعه، وقد كان للدكتور/ سعد مصلوح فضل السبق في القراءة الجديدة للمفتاح، وتبعه الدكتور/ أحمد المتوكل، والدكتور/ محمد العميري.

٧. العلوم التي أسست منظومة الإمام السكاكي، لا ينبغي النظر إليها منفردة، فهي تؤدي وظيفتها داخل المنظومة من انطلاقها من نتائج ما قبلها والتحام نتائجها بما بعدها. ولذلك النحاة لم يفردوا علم النحو من المنظومة السكاكية، بل قالوا ما لنا وللسكاكي؟ هذه بضاعة مزجاة ولسنا في حاجة لم قدمه السكاكي في علم النحو، وبالقياس على ذلك علم الصرف، والاشتقاق ، والبلاغة.

٨. منظومة الإمام السكاكي تعد امتدادًا طبيعيًّا لعلم التأويل الذي سلكه الأصوليون والمناطقة وعلماء الكلام، وهو ممتد في الحاضر مع نقد ما بعد الحداثة والمناداة بتعدد الاتساق في المقاربة الأدبية.

٩. تقعيد الإمام السكاكي للعلوم كان لحاجة أهل زمانه الفاضلين الكاملي الفضل وإلحاحهم عليه في أن يصنف لهم مختصرًا يحظيهم بأوفر حظ منه، فكان المفتاح، إضافة الى حاجة، ثقافية، تمثلت في نقل الفيض السلف من المعرفة إلى العلم.

١٠. لقد ظلم السكاكي مرات:

المرة الأولى: عندما حمَّل الإمام محمد عبده ومناصروه الإمام السكاكي جريرة الجمود الذي أصاب البلاغة العربية ، والذي ينبغي أن يحمل وزر هذه الجريرة هم من جاء بعد السكاكي الذين لم يستثمروا ما قدم لهم السكاكي من تهذيب قواعد البلاغة، فلم يقوموا بتطبيقها على النصوص الحية.

المرة الثانية: ما نراه الآن من نزاع حول المفتاح أيعد كتاب بلاغة أم يعد كتاب أدب، وأرى أن هذا نزاع مزعوم إذ البلاغة والأدب لا يتناقضان، فكلاهما يتناول نقد النصوص وتمييز جيدها من رديئها، فالبليغ أديب والأديب بليغ.

والحمد لله على ذلك في الأولين والأخرين

المصادر والمراجع

- أزمة الثقافة العربية ، د/ محمد عمارة، مجلة الاجتهاد، ع ١٠-١١، شتاء وربيع ١٤١١ هـ،١٩٩١، السنة ٣.
- أسرار البلاغة، للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمود شاكر الناشر: دار المدني بجدة، ب- د.
- آلية "الإحياء" في التنمية الاصطلاحية العربية المعاصرة وإشكالية التعبير بالتراث عن روح العصر النقدي، يوسف وغليسي، مجلة الدراسات اللغوية، جامعة قسنطينة، عدد ٧، ٢٠١١م.
- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيّان التوحيدي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، طبعة درا الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧١م.
- البحث البلاغي، د محمود مخلوف (د ، ت) .
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د/ صلاح فضل، الناشر: سلسة علم المعرفة- الكويت ع١٦٤، ١٩٩٢م.
- البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. محمد العمري، أفريقيا الشرق ١٩٩٩م.
- البلاغة تطور وتاريخ، د/ شوقي ضيف: ط: دار المعارف، مصر الطبعة الثانية ب- د
- البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، د/ بدوي طبانة، ط مكتبة الأنجلو المصرية.
- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مصطفى البابي الحلبي.
- التراث اللغوي العربي من الإسقاط إلى الإقساط، يوسف منصر، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، ع٣، ٢٠١٦م.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية. المؤلف: الدكتور عبد السلام المسدي الناشر: الدار العربية للكتاب.

- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، ابن حزم الأندلسي ، ت: إحسان عباس، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٠٠.
- تقريب منهاج البلغاء لحازم القرطاجني المتوفي ٦٨٤ه، د/ محمد محمد أبوموسى، ط: مكتبة وهبة٢٠١٨ م
- الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، الناشر: دار العودة بيروت،١٩٧٤م.
- الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، دار الساقي ٢٠٠٧م.
- السرد في التراث العربي. رؤية جمالية حضارية، مصطفى عطية جمعة، صحيفة دار العلوم، عدد شهر أكتوبر، عام: ١٩٣٨م.
- صدى الحداثة ما بعد الحداثة في زمنها القادم، د/ رضوان جودت زيادة، المركز الثقافي العربي لبنان، ٢٠٠٣م
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، المؤلف: بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) ت: الدكتور عبد الحميد هنداوي. ط: المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، المحقق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة .
- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة المؤلف: د سعد عبد العزيز مصلوح الناشر: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت،٢٠٠٣م، ص: ٢٩
- في نظرية النقد(دراسة لأهم النظريات النقدية وإحصائها)، عبدالملك مرتاض.
- قراءة التراث النقدي، د جابر عصفور، الناشر: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.

- قضايا التداولية في كتاب مفتاح العلوم للسكاكى (ت.٦٢٦ ه.) بادس لهويل ، الناشر: جامعة أحمد دراية أدرار – مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ع٩ عام ٢٠٢٦م .
- كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ابن خلدون ، ابن خلدون.
- كتابة الأدب والتعدد الثقافي في بخلاء الجاحظ: بقلم: صالح بن رمضان: رقم العدد: ٥١ تاريخ الإصدار:٠١ يونيو ٢٠٠٦ ص١٧٣.
- الكلمة الصواتية والهرمية التطريزية أحمد البايبي، مركز المولى إسماعيل للدراسات والأبحاث في اللغة والآداب والفنون٢٠١٩ .
- المحصول في علم الأصول، الرازي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٠ه.
- المحصول في علم الأصول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٠٠ه.
- المسكوت عنه في التراث د/ أبو موسى، مكتبة وهبة .
- مفتاح العلوم، المؤلف: الإمام أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م.
- مقدمة تحقيق الدكتور/ محمد عبدالمنعم خفاجي لكتاب الإيضاح للخطيب القزوينى: – دار الجبل، بيروت، ١٩٩٣م.
- مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: أمين الخولى: دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٩٦١م.
- المنجز البلاغي والنقدي للسكاكي في ميزان النقد المعاصر، أ. عبد الفتاح جحيش، بحث منشور في مجلة الآداب ، ع١٥ جامعة منتوري قسنطينة – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها سنة : ٢٠١٥م

- المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي" الأصول والامداد ، د/ أحمد المتوكل، الناشر مكتبة دار الأمان الرابط (ب. د)
- موقف الدكتور شوقي ضيف من المنجز البلاغي للإمام السكاكي دارسة في نقد النقد للباحث د/ محمد عبد الفتاح النجار، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود العدد الخامس والثلاثون، الإصدار الثاني.... أكتوبر ١٤٤٤/٢٠٢٢م
- موقف الدكتور شوقي ضيف من المنجز البلاغي للإمام السكاكي دارسة في نقد النقد للباحث د/ محمد عبد الفتاح النجار، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإتاي البارود العدد الخامس والثلاثون، الإصدار الثاني.... أكتوبر ١٤٤٤/٢٠٢٢م
- نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٦ ،١٩٩٣.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٢٦٩
٢-	Abstract	٤٢٧١
٣-	المقدمة:	٤٢٧٣
٤-	التمهيد أنواع القراءة في الدراسات المعاصرة	٤٢٨٠
٥-	أولا: قراءة الإسقاط:	٤٢٨٠
٦-	ثانيا : قراءة القطيعة المعرفية.	٤٢٨٣
٧-	ثانيا : قراءة السيرورة.	٤٢٨٥
٨-	المبحث الأول: مفتاح العلوم بين يدي متلقيه	٤٢٨٦
٩-	المطلب الأول : القراءة الجزئية للمفتاح.	٤٢٨٨
١٠-	المطلب الثاني: القراءة الكلية للمفتاح.	٤٣٠١
١١-	المطلب الثالث: ما مفتاح العلوم.	٤٣١٢
١٢-	منظومة الإمام السكاكي والنقد الحديث.	٤٣٢٠
١٣-	المبحث الثاني: تلقي التبويب والتهذيب لمباحث ومسائل مفتاح العلوم	٤٣٢٢
١٤-	نقد النقد	٤٣٢٦
١٥-	الخاتمة	٤٣٣٤
١٦-	المصادر والمراجع	٤٣٣٧
١٧-	فهرس الموضوعات	٤٣٤١